الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون / تيارت

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

فرع: الدراسات النقدية التخصص: نقد حديث ومعاصر

واقعُ النَّقدِ السُّوسيونصِّيِّ العربيِّ

إعداد الطالبتين:

إيمان بن جامعة

حفيظة بن سديرة

إشراف الأستاذ:

محمد مزيلط

أعضاء لجنة المناقشة :

الأستاذ	الرتبة	الصِّفة
جمال صالحي	**أستاذٌ محاضر.أ**	**رئيسا**
محمد مزيلط	**أستاذٌ مساعد**	**مشرفا و مقررا**
أنيسة أحمد الحاج	**أستاذٌ محاضر.أ**	**مناقشا**

السنة الجامعية : 1442 هـ – 1443 هـ

2021 م – 2022 م

إهداء

إلى نور عيني أمي الحبيبة

إلى أبي الغالي رحمه الله

إلى أخواتي حبيبات قلبي

إلى صديقاتي وجميع أحبتي

إلى وطني الحبيب جزائر المعجزات

إلى عروس عروبتنا القدس

أهدي ثمرة جهدي وعملي المتواضع

إهداء

الحمد لله وكفى و الصلاة على الحبيب المصطفى

وأهله و من وفى

أما بعد :

الحمد لله الذي وفقنا لإتمام هذه الخطوة في مسيرتنا الدراسية بمذكرتنا هذه ثمرة الجهد و النجاح بفضل الله تعالى مهداة إلى

الوالدين الكريمين حفظهما الله تعالى و أدامهما نورا لدربي

لكل العائلة الكريمة التي ساندتني دائما

ورفيقاتي اللاتي قاسمنني كافة اللحظات

شُكر

كل الشكر لله سبحانه وتعالى وله الحمد على كل النعم نسأله تعالى التوفيق للطريق المستقيم

نخصص الشكر و الامتنان إلى من كان له الفضل في إتمام هذا العمل

مرشدنا وموجهنا الذي ساعدنا الأستاذ: "**محمد مزيلط**"

نقول له أضأت بحثنا بإرشاداتك ونصائحك

كما نتقدم بالشكر والامتنان للجنة المناقشة

وأخيرا نسأل الله تعالى التوفيق

مُقَدِّمَةٌ

يندرج هذا البحث في إطار المثاقفة النقدية؛ أي ضمن انفتاح النقد العربي المعاصر على النقد الغربي المعاصر بفضل سلسلة من جهود الباحثين والنقاد في هذا المجال، ومعلوم أن النقد العربي يعاني من تبعية للنقد الغربي، وهذه التبعية هي جزء من تبعية ثقافية، بل أشمل من ذلك هي تبعية على مستويات مختلفة لكننا لا نريد أن نسبق البحث باستخلاص نتائج جاهزة، فالبحث يسعى إلى تسليط الضوء على كيفية استقبال السوسيونصية في النقد العربي تنظيرا وتطبيقا، ويهدف إلى تبيان ما إن كان هذا الاستقبال مثاقفة؛ أي أخذ من الغرب وإضافة للمأخوذ وإثراء له أو هو مجرد نقل وتطبيق حرفي للوافد النقدي الأجنبي، كما يحاول بحثنا أن يبرز حضور النقد السوسيونصي في النقد العربي المعاصر بالمقارنة مع مناهج أخرى، ولذلك وسمنا موضوعنا "**بواقع النقد السوسيونصي العربي**".

إن الدافع وراء اختيارنا لهذا الموضوع هو رغبتنا للتوسع في هذا المجال أكثر، ومعرفة البدايات الأولى وجذور النقد السوسيونصي في أصوله الغربية، وكيفية تلقي النقاد العرب لهذا المنهج، اعتمادا على مجموعة من الدراسات والنظريات، إلى جانب إسهامات وجهود جملة من النقاد والباحثين في هذا المجال، لتفسير العلاقة بين النص الأدبي والمجتمع، واعتمادهم له في تحليل النصوص الأدبية.

وتعود أسباب اختيارنا لهذا الموضوع إلى أسباب موضوعية أساسا، فموضوع النقد السوسيونصي لم يأخذ حقه من الاهتمام، ويمكن أن نستدل على ذلك بعدد من المواضيع المسجلة في الماستر في كليتنا، بحيث أن دراسات في هذا الجانب قليلة مقارنة مع مناهج أخرى، فهذا الموضوع يتطابق مع التخصص الذي اخترناه في الماستر، ولا نخفي أيضا أسباب ذاتية منها إعجابنا بموضوعات ذات الطابع الفكري؛ لأن بحثنا يحاول أن يسلط الضوء على إشكالية العلاقة بين العرب والغرب.

إن موضوع واقع النقد السوسيونصي العربي يطرح إشكاليات مختلفة تبدأ أولا بمسألة التلقي، فكيف تلقى النقاد العرب المنهج السوسيونصي؟ وإلى أيّ حد شغل اهتمامهم بالمقارنة مع المناهج الأخرى؟ وفي إطار الإشكالية ذاتها هل استطاعت الجهود العربية مناقشة التصورات النظرية "**لبيير زيما**" و"**كلود دوشي**" وغيرهم من المنظرين في مجال السوسيونصية؟ أم كانت مجرد ترديد وترجمة نظرية لأفكارهم؟ وكيف استثمر النقاد العرب المنوال المنهجي للسيوسيونصية في دراستهم للنصوص والخطابات الأدبية؟

ولإضاءة هذا الموضوع والإجابة عن إشكالياته، اعتمدنا على أكثر من منهج، فقد استعنا بآليات المنهج التاريخي الذي حاولنا من خلاله معرفة علاقة أصول وبدايات النقد السوسيونصي والوقوف على مراحل تشكله فاعتمدنا على التحقيب التاريخي، بالإضافة إلى آليات نقد النقد في دراستنا لمجموعة من النقاد في هذا المجال وقد اقتضت الدراسة التحليل والوصف للمساعدة في الوصول إلى كشف واقع السوسيونصية في النقد العربي المعاصر.

وللإحاطة بهذا الموضوع وضعنا خطة ابتدأناها بمقدمة، ثم مدخل تناولنا فيه تحديد ماهية مصطلح السوسيونصي وأهم تصورات "**بيير زيما**" و"**كلود دوشي**" في هذا المجال، وقسمنا البحث إلى فصلين، يتناول الفصل الأول تشكل النقد السوسيونصي، والذي عرضنا فيه ثلاثة مباحث الأول يختص بمآزق النقد الاجتماعي والنقد البنيوي الصوري، ويختص الثاني بالبنيوية التكوينية (المفاهيم المؤسسة للسوسيونصية)، أما الثالث فتناولنا فيه إسهامات "**ميخائيل باختين**" في النقد السوسيونصي، بينما جاء الفصل الثاني تحت عنوان تلقي النقد السوسيونصي العربي، وكان ذلك في

ثلاث مباحث، أولها يخص الجهود الترجمية والثاني تحدثنا فيه على الجهود النظرية السوسيونصية العربية، أما الثالث فقد خصصناه للجهود التطبيقية السوسيونصية العربية، وقد ختمنا بحثنا بخاتمة ذكرنا فيها أهم النتائج المتوصل إليها من خلال هذا البحث.

استعنا في موضوع بحثنا على عدد من المصادر والمراجع المتخصصة في المجال السوسيونصية، من بينها كتابي "النقد الروائي والإيديولوجيا" و"من أجل تحليل سوسيوبنائي للرواية" "**لحميد لحميداني**"، وانفتاح النص الروائي"**لسعيد يقطين**" التي مثلت مصادر البحث بالإضافة إلى مراجع في هذا المجال، كما وجدنا صعوبة في الحصول على مصادر رئيسية للمنظرين الغربيين في مجال السيوسيونصية.

ومن بين الصعوبات التي واجهتنا في دراستنا لهذا الموضوع هو قلة المصادر العربية المتخصصة في مجال السوسيونصية، وأغلب المراجع التي تحيط بهذا الموضوع أجنبية في صعوبة الحصول عليها وكذلك قلة اهتمام النقد العربي بالسوسيونصية بحيث وجدنا عددا قليلا من النقاد الذين اشتغلوا في هذا الحقل مقارنة بالمناهج الأخرى التي حظيت باهتمام أكبر.

في ختام هذه المذكرة يسرنا أن نوجه شكرنا وامتناننا لأستاذنا الفاضل "**محمد مزيلط**" الذي شرفنا بقبول الإشراف على هذا البحث وكان مرشدنا وموجهنا في انجاز هذه المذكرة، فجزاه الله عنا أفضل جزاء، كما نتوجه بالشكر الجزيل إلى اللجنة العلمية ممثلة في الأستاذة "**أحمد الحاج أنيسة**" والأستاذ "**بوبكر معازيز**" على تحشمهما عناء القراءة والتوجيه.

حفيظة/ إيمان

تيارت يوم: 19/ 06 /2022

مدخلٌ

النَّقدُ السُّوسيونصِّي (تحديداتٌ نظريَّةٌ)

توطئة :

سنحاول في مدخل البحث التطرق إلى السوسيونصية أو السوسيونقد أو النقد السوسيونصي من زواية تحديد المصطلحات؛ لأننا أمام مصطلحات مختلفة، ولسنا ندري ما إن كانت مسميات مختلفة لموضوع واحد، أو مسميات مختلفة لموضوعات متعددة، ومن هنا سنحاول الإجابة ما إن كانت السوسيونصية هي نفسها السوسيونقد، بدءا بتحديد المصطلح وتتبعه بين النقاد الغربيين لأنه غربي الأصل، وسنعمل أيضا على تبيان طبيعة السوسيونصية ما إن كانت علما يهتم بالأبعاد الاجتماعية في النص، أو منهجا يقرأ به النص، أو نظرية تؤكد التحليل السوسيونصي للأدب، كما سنحاول تبيان الأسس والمرتكزات التي ينطلق منها، وهكذا نستطيع ضبط موضوع بحثنا وهو ما يساعدنا أيضا على التعرف على الإضافات، أو الرؤية الجديدة التي يقوم عليها السوسيونقد خلافا للمنهج الاجتماعي.

1/ماهية السوسيونصية:

إن مصطلح سوسيونص مركب من لفظتين هما "سوسيو"و"نص"، « فلفظة السوسيو مشتقة من الكلمة اللاتينية [socius] والتي تعني "صاحب أو رفيق" وفيما بعد أصبحت تعني الشخص الذي يتسم بالطابع الاجتماعي.»[1] بمعنى أن هذه اللفظة هي العلم بطابعه الاجتماعي الذي يهتم بدراسة الاختلاف الذي يطرأ على البنية الاجتماعية، وتطورها في الدراسات النقدية.

[1]- نعيمة بولكعيبات: سوسيولوجيا النص تاريخ المنهج وإجراءاته، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر،باتنة 2011.2010، ص58.

أما مفهوم النص الذي تطرق إليه "**سعيد يقطين**" بأنه « بنية دلالية تنتجها ذات (فردية أو جماعية)، ضمن بنية نصية منتجة، أو في إطار بنيات ثقافية واجتماعية محددة »[2]؛ أي أن النص يحمل بنية ذات دلالة لغوية واجتماعية ينتجها الفرد أو الجماعة، تكون في إطار ثقافي واجتماعي، وباعتبار النص نسيجا من الأفكار والألفاظ المنطوقة، أو المكتوبة التي تؤدي دلالة واضحة ذات مدلول تواصلي؛ أي علاقة النص بالبنيات الاجتماعية الخارجية.

مصطلح السوسيونصي مصطلح منحوت، ومركب من سوسيو/ الاجتماع/ النص، ويبدو أنه متعالق مع مجموعة من المصطلحات في مقدمتها "**علم اجتماع النص**"، أو "**سوسيولوجيا النص**"، أو "**السوسيونقد**"، إن هذه المصطلحات قد أسست لنا قاعدة لمجموعة من الدراسات والنظريات، التي كان بحثها قائما على الاختلاف بين مصطلحي السوسيونقد، أو النقد الاجتماعي، الذي كان ظهوره سنة "1970" مع "**كلود دوشي**"**Claud Duchet** قدم لنا أبعاده النظرية باعتباره مذهبا للنقد الجديد، محاولا في ذلك معرفة موضوع النص، ومصطلح سوسيولوجيا النص ظهر في ستينيات من القرن العشرين على يد واضعه "**بيير زيما**"[3]، وبالتالي فإن تعدد المصطلحات ناتج أساسا عن تعدد المشتغلين بهذا المصطلح، فكل سماه بمصطلح خاص به، بالإضافة إلى اختلاف تصوراتهم النظرية حوله، فكل باحث يقدم تصورا نظريا إضافيا لمن سبقه، وإن كانوا يختلفون في بعض التفاصيل إلاّ أنهم يتفقون في الإطار العام المشترك، كما يتفقون على أن هذا المصطلح يجمع بين التحليل النصي والاجتماعي.

[2]- سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي، النص والسياق، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط02 ،2001، ص32.

[3]- ينظر، نعيمة بولكعيبات: سوسيولوجيا النص تاريخ المنهج وإجراءاته، ص57.

أ/ علم اجتماع النص:

إن مصطلح علم اجتماع النص المقترح من قبل "**بيير زيما**"**pierree valery Zima**" لا يحتاج إلى طول تعمق لفهمه، فمن الواضح أنه يريد به مجال علمي، وبحثي يهتم بدراسة النص وفق مزدوجة تحليل نصي في إطار اجتماعي، وخلافا للنقاد السابقين يقدم "**بيير زيما**" مفهوما مغايرا للنص «لا باعتباره بنية مغلقة ينبغي البحث عن تجريدها المثالي، وإنما ككيان ملموس وحي يعيش حياته عبر قوانينه الخاصة، ولكن يحمل في هذه القوانين خصائص الحياة الاجتماعية التي يعيش في إطارها ويبدع ويتلقى، ومن هنا فإنه يسمي منهجه علم اجتماع النص الأدبي»[4]، إن النص في نظر "**بيير زيما**" ليس كيانا مغلقا على نفسه، إنما هو بنية يقوم على جملة من القوانين التي تربطه بالبنيات الاجتماعية، وقد سعى إلى ربط النص الأدبي بإطاره الاجتماعي، ونتج عن ذلك ظهور مصطلح علم اجتماع النص الأدبي، وهذا التحديد لماهية النص يوضح لنا الكثير من مواطن الغموض لفهم مصطلح السوسيونصية.

إن المصطلح الذي جاء به "**بيير زيما**" "**علم اجتماع النص**" يشير إلى انفتاحية النص على عوالم مرتبطة بالجانب التاريخي، الاجتماعي على مستوى تراكيب لغوية، يكون فيه تفاعل النص مع القضايا والمشكلات الاجتماعية، التي يتلقى من خلالها أفكاره، ومعارفه ليتفاعل بها مع المجتمع، كما اهتم باللغة في تفسير النصوص وتفاعلها مع الظواهر الاجتماعية.

كما أن حديث "**بيير زيما**" عن النص يزيدنا فهما وتعمقا لماهية علم اجتماع النص، فهو يرى على أن النص قضية اجتماعية وذلك من خلال تفاعل «النص الأدبي مع المشكلات الاجتماعية

[4]- بيير زيما: النقد الاجتماعي، تر:عايدة لطفي، دار الفكر،ط 01، القاهرة، 1991، ص 08.

والتاريخية على مستوى اللغة»[5]، فالنص عنده يبحث في العلاقة التي تربط النص بالمجتمع، من خلال ربط اللغة بالمستوى الاجتماعي والتاريخي، فاللغة في نظره تلعب دورا هاما في استيعاب النصوص الأدبية وربطها مع الأطر والبنيات الخارجية، وهذا فيما تعلق بمصطلح علم اجتماع النص، وسنحاول فيما يلي بيان المصطلح ألا وهو مصطلح السوسيونقد.

ب/ السوسيونقد :

ثمة مصطلح آخر شائع في الدراسات النقدية العربية إلى جانب المصطلح الذي عرضناه سابقا علم اجتماع النص، ويتعلق الأمر بمصطلح السوسيونقد، وهو مصطلح مطابق لماهية "علم اجتماع النص"، غير أننا وجدنا بعض الباحثين لا يصفونه بالعلم وإنما بالمنهج « فالمنهج السوسيونقدي يسعى إلى وضع نظرية نقدية تكشف عن وجود المجتمع في النصوص الأدبية وغير الأدبية، وإلى محاولة معرفة الطريقة التي يصنع بها المجتمع نصوصه»[6]، اتضح لنا من الوصف السابق أن السوسيونقد في منظور بعض الباحثين هو منهج يشتغل على النص عن طريق الجمع بين التحليل النصي والتحليل الاجتماعي، والسعي إلى كشف العلاقة الموجودة بين المجتمع والنص يحيلنا إلى التعرف على أوليات إنتاج النص الأدبي في المجتمع.

ظهر مصطلح السوسيونقد في سبعينيات القرن ذاته مع "**كلود دوشي**"، الذي اعتبره مذهبا للنقد الجديد في الدراسات الأدبية لمعرفة موضوع النص، واعتباره طريقة لقراءة النص، فهو الذي

[5]- بيير زيما: النقد الاجتماعي، ص 172.

[6]- نعيمة بولكعيبات: سوسيولوجيا النص تاريخ المنهج وإجراءاته، ص 59.

يدرس المجتمع في النصوص الأدبية، أو الطريقة التي يتفاعل بها النص مع المشكلات الخارجية عن طريق اللغة؛ أي معرفة العلاقة التي تجمع المجتمع بالنص.

إن السوسيونقد في دراسته يقوم على الربط الأدب بالمجتمع؛ أي أن الأدب جزء لا يتجزأ من المجتمع، بفضل تلاحم العامل الاجتماعي من النص، فهدفه الأول والأخير الذي يقوم عليه هو قراءة النص من خلال تحليله وشرحه، هدفه الكشف عن العلاقة بين النص والمجتمع، بمعنى وجود المجتمع في النص يسعى السوسيونقد إلى معرفة العلاقة التي تربط الكاتب بالقارئ من خلال التعرف على أوليات إنتاج النص الأدبي، فالسوسيونقد في مفهومه يرتكز على علاقة الأدب بالمجتمع؛ أي أن الأدب جزء لا يتجزأ من المجتمع، باعتبار أن النص لا ينظر إليه من حيث هو ورق، والمجتمع كونه واقعا، إنما تلاحم العامل الاجتماعي مع النص، يكون هذا العامل متغير ومتعدد الأشكال في النص، فهدف السوسيونقد إنتاج مفهوم جديد من خلال إعطاء اقتراحات نظرية في تلاحم العامل الاجتماعي مع النص[7]، إن السوسيونقد يسعى إلى إيجاد مفهوم جديد من خلال اقتراح تصورات نظرية تهدف إلى معرفة علاقة المجتمع بالنص عن طريق اللغة؛ أي تلاحم العامل الاجتماعي مع النص.

2/ التصورات النظرية للسوسيونصية:

لقد تطرقنا في عرضنا لمفهوم السوسيونصية لأكثر من مصطلح، ومن الواضح أن هذا التعدد راجع إلى اختلاف الباحثين، **"فبير زيما"** اشتهر بتوظيف مصطلح علم اجتماع النص، أما **"كلود دوشي"** وظف السوسيونقد، ولقد أثبتنا مدى تقارب المجالين على الرغم من الاختلاف الكامل بين العلم والمنهج، وسنعمل فيما يلي للتفصيل في تصورات كل منظر حول المصطلح الذي اختاره.

[7]- ينظر، نعيمة بولكعيبات: سوسيولجيا النص تاريخ المنهج وإجراءاته، ص 60 .

أ/ تصور "بييرزيما":

إن رؤية **"بيير زيما"** لعلاقة النص بالنصوص الأخرى علاقة كلية؛ أي أنه لا يمكن دراسة النص بمعزل عن النصوص الأخرى، فالنص لا يستطيع أن يعبر عن قيم وخطابات ومصالح اجتماعية وهو معزول عن بقية النصوص، فالجزء لا يعبر عن الكل، فعلم اجتماع النص في محاولته إلى إظهار الظروف الاجتماعية ومشاكل المجتمع وهو بمنأى عن النصوص أخرى هي محاولة هشة، فهدفه تصوير العالم الاجتماعي بربطه بنصوص أخرى[8]، لقد انطلق علم اجتماع النص في تحليل النصوص الأدبية على المستوى اللغوي، محاولا بذلك ربط النص بنصوص أخرى في فهم القضايا والمشكلات الاجتماعية عن طريق أنظمة وقيم ورؤى اجتماعية وإيديولوجية، فالتحليل الاجتماعي للنصوص الأدبية يقتضي ارتباط النص مع نصوص أخرى، لأن علم اجتماع النص يبحث دائما في كلية النصوص، ومدى ارتباطها مع بعضها، فالنص المعزول عن بقية النصوص لا يستطيع أن يعبر عن مصالح اجتماعية، وأنظمة وقيم اجتماعية، فلا يمكن عزل النصوص عن بعضها، فالعالم الاجتماع من خلال دراسته يجب أن يختار دائما أكثر من نص ولا يكتفي بنص واحد، وذلك لمعرفة علاقة نص بنصوص أخرى.

انطلق **"زيما"** في تصوره لهذه النظرية من محور أساسي الذي تشكلت عليه البنى اللغوية لهذه النصوص وهو اللغة، باعتبار المجتمع كامن في النص من خلال اللغة، إن النص من منظوره بنية مستقلة باللغة تحول الواقع إلى قضايا دلالة وسردية « وبناء على ذلك انطلق **"زيما"** في مقاربته للخطاب الروائي من مفهومين أساسيين هما: اللهجة الاجتماعية، والوضعية اللسانية الاجتماعية مع

[8] _ ينظر، نعيمة بولكعيبات: سوسيولوجيا النص تاريخ المنهج وإجراءاته، ص 62.

مراعـاة اللغـات الجماعيـة المختلفـة»[9]، ركـز **"زيمـا"** في خطابـه الروائـي علـى الظـواهر الاجتماعيـة واللسـانية، فقـام على أساسين هما اللهجة، وتكـون على مستوى التنـاص تـربط بـين الرواية وبنيتهـا، والوضـعية اللسـانية الاجتماعيـة الـتي تـربط بـين الوضـع السوسـيو ولسـاني مـع مراعـاة البنيـة اللغويـة الأساسية للنصوص.

لقـد قـام **"زيمـا"** في دراسته للنص على بعدين داخلي وخـارجي، فـالأول اعتمـد فيه على تحليل النصوص وشرح معانيها، أما الثاني فاهتم فيه بالعلاقة التي تربط المتلقي بالنص، فالنص الأدبي عنده هو كيان مفتوح وملموس تربطه قوانين خاصة يبدع من خلالها، وتظهر وظيفته الجمالية من خلال انفتاحه على نصوص أخرى « فإذا كانت العلاقة التي تربط بين العمل الأدبي والواقع علاقة مماثلة وتناظر كما قدمها **"غولدمان" و "لوكاتش"**، فإنها مع **"زيما"** علاقة تناص لأن الكاتب في نظره لا ينتج إلا بوصفه قارئا للنصوص الأدبية وغير الأدبية وإنتاجه هو عملية تناص لغوية اجتماعية»[10]، لقد اختلف **"زيما"** عن ما قدمه **"غولدمان" و"لوكاتش"** في العلاقة التي تربط العمل الأدبي وواقعه على أنها علاقة مماثلة وتناظر إلا أن **"زيمـا"** اختلـف في ذلـك واعتبره علاقـة تناصية؛ أي تـداخل النصـوص وتفاعلهـا مـع بعضـها، مـن خـلال إنتـاج القـارئ للنصـوص أدبيـة وغـير أدبيـة تسـمى عنـده بعملية لغوية تناصية.

لم ينطلق **"بيير زيما"** في دراسته لعلم اجتماع النص من العدم، بل كانت له عدة كتابات مختلفة اعتمـد عليهـا في ذلـك، "كتـاب رغبـة الأسـطورة قـراءة سوسـيولوجية "لمارسـيل بروسـت"، و"وجيـز

[9]_ مريم شويشي ومصطفى شويرف: السوسيونصية في الخطاب التنظير في النقد الجزائري، مجلة المدونة، ع 01، مج 08، جامعة مصطفى اسطنبولي، معسكر، الجزائر، 2021، ص 565.

[10]_ المرجع نفسه، ص 567.

سوسيولوجية النص"، و"الازدواجية الروائية (بروست، كافكا، موزيل)"، و"من أجل سوسيولوجية النص الأدبي"، وقد كان تصور **"بيير زيما"** في تقديم أصول علم اجتماع النص وامتداداته اعتماد على كتابي "من أجل علم اجتماع النص الأدبي"، وكتاب "وجيز سوسيولوجية النص" للوصول إلى نتائج التي اعتمد عليها في الكتب السابقة[11]، قدم لنا **"بيير زيما"** تصورا جديدا لعلم اجتماع النص، وذلك من خلال كتابته المتعددة مستخلصا أصول وامتدادات هذا العلم مشيرا إلى النتائج التي توصل إليها.

يهتم علم اجتماع النص عند **"بيير زيما"** بمعرفة كيفية تجسد القضايا الاجتماعية في النص، وعلى هذا الأساس يبني مشروعه النقدي من خلال نظريات نقدية كثيرة « **فبيير زيما** ينطلق من الإنجاز الهام الذي حققه النقد الأدبي في العصر الحديث، من حيث إعادة الاعتبار إلى النص. غير أنه لا يعتبره بنية مغلقة، وإنما هو كيان حي يعيش حياته عبر قوانينه الخاصة، ولكنه يحمل ضمن هذه القوانين خصائص الحياة الاجتماعية التي يعيش في إطارها. من هنا تسمية منهجه ب"**علم اجتماع النص**"، لذلك يحرص على الاستفادة من مناهج أخرى مثل: السيميائيات، البنيوية، التحليل النفسي، نظريات القراءة ومدرسة فرانكوفورت...الخ»[12]، اعتمد **"زيما"** على عدة مناهج في دراسته، استفاد منها في تسمية منهجه بعلم اجتماع النص، فالنص في رأيه عبارة عن كيان مفتوح ضمن مجموعة من القوانين الخاصة التي ترتبط بخصائص الحياة الاجتماعية التي يعيش فيها.

استطاع **"زيما"** أن ينهض على دعائم وأطروحات سابقيه في دراسته لعلم اجتماع النص، معتمدا في ذلك على أفكار مجموعة من النقاد **أمثال "جورج لوكاتش"** و**"لوسيان غولدمان"**، و**"ميخائيل**

[11]_ينظر، محمد مريني: مدارات القراءة (تفسير القراءة من مداخل العلوم الإنسانية)، دار الكنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط 01، 2015، ص 125.

[12]_المرجع نفسه، ص126_127.

باختين" وغيرهم إلى جانب جهود الشكلانيين والبنيويين، وذلك من أجل الوصول إلى القضايا الاجتماعية والتاريخية في مستواها المعجمي والدلالي والسردي، في حين « انتقد "**زيما**" مفاهيم علم اجتماع التجريبي ونظريات سوسيولوجيا الأدب التي تعاملت مع النص الأدبي في سكونيته وتجانسه وتماسكه، وحصرت جل اهتمامها في الظروف والعوامل الخارجية المحيطة بالنص الأدبي، ولم تلتفت إلى ما يشكل خصوصيته اللغوية والجمالية»[13]، يربط "**زيما**" قيمة النص بالقيم الجمالية، فهو يرى أن فهم النص في معناه الاجتماعي مرتبط بجانبه الفني، لذلك لا يمكن إقصاء الجانب الجمالي للأدب، وقد انتقد في ذلك الأطروحات التي تدرس النص في إطاره الاجتماعي؛ أي في بيئته التي يعيش فيها فقط، وأهملت الجانب الإبداعي في النص الأدبي.

كما عارض "**زيما**" المفاهيم التي جاء بها "**غولدمان**" كالبنية الدالة؛ لأنها لا تحيلنا « على أية نظرية دلالية يمكننا في إطارها أن نضبط الدلالة ويعتبر أن "**غريماس**" نفسه كان يعتقد بوجود عمق النص (Logos) والبنية العميقة (Structucture profonde) ومعناها يناظر تماما معنى البنية الدالة عند **غولدمان** »[14]، اعتبر "**زيما**" أن المفهوم الذي جاء به "**غولدمان**" عن البنية الدالة يناظر البنية العميقة، باعتبارها مجموعة العلاقات التي تنفذ على بنية دلالية ضمن بنيات سردية، وتعتقد بوجود عمق النص، وهذا لا يحيل على أي معنى من أجل ضبط الدلالة، إلى جانب ذلك اعترض "**زيما**" على سوسيولوجيا المضامين باعتبارها تدرس محتوى العمل الأدبي فقط، فهي «تمثل الوظيفة التعيينية (Lafonction dénotation) وهي الوظيفة التي تحيل مباشرة على الأحداث والوقائع التي جرت أو

[13]_ علي سحنين: سوسيولوجيا النص الروائي في النقد الغربي-قراءة في أطروحات باختين وزيما- مجلة آفاق علمية، جامعة مصطفى اسطنبولي، معسكر، الجزائر، ع13، 2021، ص203.

[14]_حميد لحميداني: النقد الروائي والايديولوجيا، ص85.

تجري في الواقع العياني، وهذه السوسيولوجيا تتعامل مع الأدب مثلما يتعامل المؤرخ مع الوثائق التاريخية»[15]، انتقد **"زيما"** سوسيولوجيا المضامين كونها تدرس محتوى الأدب، ودراسة الأحداث والوقائع التاريخية في الواقع دون الاهتمام بالعمل الأدبي دراسة لمضمونه ومحتواه.

ومن خلال اعتراض **"زيما"** على المفهوم الذي جاء به **"غولدمان"** في البنية الدالة وانتقاده لسوسيولوجيا المضامين في اهتمامها بمحتوى العمل الأدبي « ينتقد **"زيما"** مفاهيم الكلية والنمط ورؤية العالم لدى كل من **"لوكاتش"**و**"غولدمان"** كونها مرتبطة بالفلسفة الجدلية الهيغلية والنظريات التي بلورها **"كارل ماركس"** انطلاقا من هذه الفلسفة؛ لأنها تعمل على عزل الظواهر الفردية وتتعامل مع الكل من خلال إخضاعه للجزء، مما يقود حتما إلى اختزال الأعمال الإبداعية في معان أحادية؛ في حين أن النص الأدبي يحمل معاني مكثفة وبنيات دلالية متنوعة ومتعددة بتعدد القراءات والتأويلات، كما أن هذه البنيات لا تتوقف عند التناقض والتصارع فيما بينها، بعيدا عن قواعد المقولات الاجتماعية الصارمة (الكلية_النمطية_رؤية العالم)»[16]، وفي هذا الصدد انتقد **"زيما"** كل المفاهيم التي جاء بها **"لوكاتش"** و**"غولدمان"** إلى جانب **"كارل ماركس"**؛ لأنهم ربطوا دراستهم لهذه المفاهيم (الكلية_والنمط_رؤية العالم) بالفلسفة المادية الجدلية والهيجلية؛ لأنها تتعامل مع الكل وتقوم بعزل الظواهر الفردية، كما يرى أن هذه البنيات دائما في تصارع وتناقض؛ لأن النص يحمل بنيات ومعان متعددة بعيدا عن المقولات والقواعد الاجتماعية لهذه البنيات.

[15]_حميد لحميداني: النقد الروائي والايديولوجيا، ص85.

[16]_علي سحنين: سوسيولوجيا النص الروائي في النقد الغربي، ص204.

ب/تصور "كلود دوشي":

ذهب **"كلود دوشي"** إلى دراسة النص من الخارج، أي علاقة النص بالمجتمع، فكان اختلافه عن بقية الباحثين في تحديد الطرق والمبادئ والتصورات التي قام عليها السوسيونقد، وهذا المصطلح بالنسبة إليه هو قراءة سوسيو تاريخية للنص، ارتكز فيه على ضرورة ربط النص بسياقه الاجتماعي والثقافي معتمدا في بناء موضوعه على النقد الشكلي، فالسوسيونقد في قراءته للنص يحاول أن يحافظ على خصوصية النص من خلال معرفته بكل ما يتعلق بالنص والكتابة، وذلك من أجل «الوصول إلى إدراك المعنى الظاهر والخفي، والمسكوت عنه؛ أي دراسة القول في إطار السياق الذي تشكل فيه النص »[17]، إن هدف السوسيونقد هو فك الشفرات والرموز الموجودة داخل النص لإدراك معناها الظاهر أو البين والخفي من أجل استيعاب النص وفهم مسائله وبنياته الاجتماعية.

اختلفت نظرة السوسيونقد للنص وأصبحت عند **"كلود دوشي"** أساس الدراسات السوسيونقدية كون « مصطلح النص واسع إلى درجة عدم الإمساك بحدوده فهو مفهوم زئبقي متغير ومتحول والنص سابق على إرادة الكاتب ولأنه لا يبدأ معه إنما يكون قبله لهذا فإن النص لا ينتهي عند كتابته بل يمتد إلى ما بعد قراءته»[18]، من خلال تصور **"كلود دوشي"** لمصطلح النص على أنه مفهوم متغير لا يتوقف عند الكتابة فقط، بل يفسر بحسب قراءته، فالسوسيونقد عنده يبحث عن بدايات النص، وعن الأسباب التي أدت إلى كتابته من أجل الوصول إلى النتيجة المتحصل عليها.

[17]_ نعيمة بولكعيبات: سوسيولوجيا النص تاريخ المنهج وإجراءاته، ص 89.

[18]_ المرجع نفسه: ص91.

إن ما قدمه "**كلود دوشي**" حول السوسيونقد على أنه قراءة النصوص داخليا وخارجيا من خلال دراسته التي تحمل في طياتها قراءات متنوعة ومختلفة للوصول إلى قراءة تأويلية لهذه النصوص الأدبية، ويركز في نظريته على الشكل الداخلي والخارجي للنص، اعتمادا على مرجعيات نصية، وتاريخية، واجتماعية هدفها توثيقه وإثباته، لأن النص في تصور "**كلود دوشي**" كيان مفتوح على الخارج «فالنص بنية حاضرة بنية أكبر هي بنية المجتمع فالنص والسياق هما وجهان لعملة واحدة»[19] إن المفهوم الذي جاء به "**كلود دوشي**" هو انفتاحية النص على المجتمع وربطه بسياقه الخارجي، فهو يسعى إلى إثبات العلاقة الموجودة بين النص الأدبي والمجتمع، والبحث عن تطوره أو تغيره عبر الزمن.

ونخلص مما تقدم إلى أن السوسيونقد، يحمل أكثر من مصطلح حتى في أصوله الغربية، وعملت بعض الدراسات على تصنيفه بأنه منهج يجمع بين التحليلين الاجتماعي والبنيوي للأدب، ويحاول أن يأخذ منهما ما يصلح لإضاءة العمل الأدبي من جانبي الشكل والمحتوى.

[19] _ نعيمة بولكعيبات: سوسيولوجيا النص تاريخ المنهج وإجراءاته، ص 109.

الفصل الأوَّل

تَشكُّلُ النَّقد السُّوسيو نصِّيّ

المبحث الأول: مآزق النقد الاجتماعي والنقد البنيوي الصوري.

المبحث الثاني: البنيوية التكوينية (المفاهيم المؤسسة للسوسيونصية).

المبحث الثالث: إسهامات "ميخائيل باختين" في النقد السوسيونصي.

تمهيد :

إن النقد السوسيو نصي أو علم اجتماع النص أو السوسيو نقد كما سبق الإيماءة إليه في مدخل هذه المذكرة يقوم على التركيب بين أكثر من منهج: منهج اجتماعي يهتم بالمضامين والقضايا الاجتماعية في النص، ومنهج بنيوي صوري أو شكلي، يهتم بالبنية الداخلية للنص، ومن هنا سنحاول في هذا الفصل التطرق إلى الجهود والعوامل المعرفية المؤسسة للنقد السوسيونصي، فهي جملة العوامل نجد المآزق التي وقع فيها المنهجان: البنيوي والاجتماعي، وقد بدأت محاولات التركيب مع البنيوية التكوينية ثم دعمت بجهود **"باختين"**، التي تنطلق من صميم سوسيولوجيا النص الروائي من خلال دمج النص الروائي بالواقع، التي تقوم على حيادية الكاتب في البحث عن تعددية الأصوات وتفسيرها داخل النص.

وتأسيسا على ذلك سنحاول أن نبين أهم المنطلقات والتصورات التي يقوم عليها النقد السوسيونصي اعتمادا على العوامل والجهود السابقة التي تأسس على أثرها النقد السوسيونصي، والوقوف على أهم الإضافات التي كانت تعمل على الجمع بين أكثر من منهج نصي وسوسيولوجي.

المبحث الأول: مآزق النقد الاجتماعي والنقد البنيوي الصوري:

توطئة:

يحاول هذا المبحث تسليط الضوء على مأزق النقد الاجتماعي والنقد البنيوي في اتجاهه الصوري، وقد عرضنا لهذا المبحث في إطار العوامل المؤسسة والممهدة للنقد السوسيونصي، وكانت هذه المشكلات سببا في ظهور وتبلور النقد السوسيونصي.

أ_ مأزق المنهج الاجتماعي:

سنحاول البدء بنقد المنهج الاجتماعي وتسليط الضوء على المآزق التي وقع فيه هذا المنهج الذي يعتبر من المناهج السياقية في النقد الأدبي، والذي يتعالق مع المنهج التاريخي، وهو منهج يقوم على الربط بين الأدب والمجتمع باعتبار المجتمع هو المنتج للأعمال الإبداعية؛ أي أنه يدرس الأدب على أنه تعبير عن المجتمع، فلا وجود للأدب دون مجتمع ينطلق منه ويعبر عنه، وفهم النص الأدبي يتوقف على فهم الإطار الاجتماعي له، ففهم المجتمع هو فهم للنص.

وقد مرت الدراسات النقدية في تطورها بعدة تغيرات كانت عبر مراحل مختلفة، وكان من بين المراحل التي مر بها النقد مرحلة النقد الماركسي، وعلى اعتبار أن المنهج الاجتماعي هو من أهم المناهج الأدبية والنقدية، فكان للفكر الماركسي أثر كبير في تطور هذا المنهج، وإعطائه شكلا فكريا، وإكسابه إطارا منهجيا نجد «**كارل ماركس** هو أول من أعطى تفسيرا موضوعيا للعلاقة بين الأدب والمجتمع، وعين لها موضوعا داخل مجموعة العلوم الاجتماعية، واعتبر أن الأدب واقعة اجتماعية تاريخية نسبية، وأن الكاتب يعبر في أعماقه عن وجهة نظر الطبقة التي ينتمي إليها بوعي أو بغير

وعي»[1]، إن موضوع الفلسفة الماركسية في المنهج الاجتماعي هي إيجاد العلاقة التي تربط الأدب بالمجتمع من خلال الطبقات الاجتماعية التي ينتمي إليها، وتأثير البنى التحتية المتمثلة في البنية الاقتصادية في البنى الفوقية؛ أي النظم الفكرية الواعية، وتدخل هذه العلاقة تحت ما يسمى بنظرية الانعكاس(علاقة التأثير والتأثر).

يقوم المنهج الاجتماعي على دراسة الأدب من خلال علاقته بالمجتمع، وهذا ما أقر به عدد من النقاد وحتى الفلاسفة منذ الأزل، فهو ينطلق في دراسة الأدب على أنه تعبير عن المجتمع، فلا يوجد أدب دون وجود مجتمع ينبثق منه، لأن الأديب هو ابن مجتمعه يتأثر بالمؤثرات الاقتصادية والفكرية الموجودة في المجتمع وينعكس ذلك في إبداعه، وقد كان تأسيس هذا المنهج على أنقاض النظرية الجدلية الماركسية التي ترى بأن القيم الاجتماعية هي انعكاس للواقع المادي.

تأسيسا على ما سبق ذكره في تطور المنهج الاجتماعي على أساس الفكر الماركسي، ظهرت نظرية الانعكاس التي تعرف على أنها إحدى النظريات في النقد الحديث، والتي ارتبطت بالاتجاه الجدلي الماركسي، فهي ترى أن الأدب انعكاس للظروف الاجتماعية؛ أي أن الأدب يعكس القضايا في المجتمع، وقد اعتمدت هذه النظرية على الفكر المادي في اعتبار أن الأدب مرآة للواقع وللمجتمع، وأشهر من تبنوا رؤية **"ماركس"** عن الانعكاس **"جورج لوكاتش"** الذي تعمق في المفاهيم الماركسية كالبنية التحتية، والبنية الفوقية، وحاول أن يطور دلالة الانعكاس من خلال مفهوم"النموذج"؛ أي رموز الشخصيات التي يستخدمها الأدباء، و« نظرية الانعكاس قد اهتمت بفكرة الحتمية الاجتماعية

[1]- سمير حجازي: مدخل إلى مناهج النقد الأدبي المعاصر، ط 01، دار توفيق للطباعة والنشر، سوريا _ دمشق، 2004، ص 86.

والتاريخية عوض عن فكرة الإلهام الشخصي للكاتب، وأصبحت فيما بعد تمثل اتجاها واسعا في العديد من أعمال الباحثين والنقاد في مجالات عديدة من مجالات الفكر والأدب»[2]، نفهم مما تقدم أن نظرية الانعكاس حاولت أن تدرس الظاهرة الأدبية بنوع من الحتمية.

وقد واجهت نظرية الانعكاس بعض الانتقادات والاعتراضات من قبل النقاد « والملاحظ بصفة عامة أن نظرية الانعكاس لا تخلو من انتقادات، فعلى سبيل المثال نلاحظ أن مصطلح الانعكاس يبدو من بعض الجوانب مصطلحا غير دقيق، لأن هناك جانبا لما يعكسه الأدب يبدو ثقافيا أكثر منه اجتماعيا»[3]، لقد واجهت هذه النظرية الكثير من الانتقادات من قبل المشتغلين بالنقد؛ لأنها تقوم على رؤية آلية، فالبينة التحتية هي المؤثر في البنية الفوقية، هذه الرؤية لا تنسجم مع كثير من الشواهد والنماذج الأدبية التي يكمن أن نجد العكس، فالثورة الفرنسية بدأت تتبلور في فكر الأدباء الفرنسيين قبل أن تتجسد كحدث مادي تاريخي على أرض الواقع.

وعلى الرغم من اعتبار المنهج الاجتماعي من أبرز المناهج وأهمها في الدراسات الأدبية والنقدية، واعتمادا على الفكر الجدلي الماركسي في دراسة الأدب دراسة علمية وربطه بالمجتمع، وبالبيئة التي ينتمي إليها، إلا أنه وقع في مطبات كما وجهت له عدة انتقادات كونه « غير قادر على الكشف عن الخواص النوعية للأعمال الأدبية، أنه يكتفي برصد الظواهر ولا يتعمق في إمكانية تفسيرها، وربطها ربطا عميقا، بل وقيم التوازي بين ظواهر غير متجانسة أصلا، لأن الأدب إنتاج

[2]- سمير حجازي: مناهج النقد الأدبي المعاصر، ص 100.

[3]- المرجع نفسه، ص 101.

وتخييلي وإبداعي نوعيا طبيعة الحياة الخارجية بكل ما يحتمل فيها من عوامل متعددة»[4]، من خلال الانتقاد الذي وجه للمنهج الاجتماعي، يلاحظ أن لهذا المنهج جوانب تقصير عديدة في دراسة الأدب وربطه بالمجتمع دون التعمق في الأعمال الأدبية، فأهمل الإبداع والتخييل الموجود داخل الأدب كونه مخالف لما في طبيعة الحياة الاجتماعية .

بالإضافة إلى المآزق التي وقع فيها المنهج الاجتماعي، هي اهتمام هذا المنهج بالأعمال النثرية كالقصص والمسرحيات، وتركيز الناقد فيه على شخصية البطل، واعتماد الحجج الماركسية، والاهتمام بفكرة الحتمية الاجتماعية والتاريخية في ظل تبنيه لنظرية الانعكاس، فكانت النتائج التي عمل بها المنهج الاجتماعي تخدم علماء الاجتماع أكثر مما تخدم نقاد الأدب ودارسيه « فالمقياس الذي اتخذه هذا الاتجاه مطعون فيه من الوجهة النقدية، لأن النقد في جوهره لابد أن يمسك بتلك العناصر التي تقود إلى التمييز النوعي، ومع أنه وخاصة النقد الحديث يزعم دائما التخلص من أحكام القيمة إلا أنه عندما يفقد صلاحيته وإمكانيته لتمييز بين المستويات المختلفة في الأعمال الإبداعية يصبح معيبا في جوهره»[5]، إن النتائج التي عمل بها المنهج الاجتماعي في علاقة الأدب بمجتمعه تفقد صلاحيتها نظرا لتمييز الأعمال الإبداعية، فهي تعيب في دراسة الأدب وربطه ببيئته الاجتماعية.

تأسيسا على ما سبق نستخلص أن المنهج الاجتماعي يعد من المناهج السياقية التي تهتم بالظروف الاجتماعية، فهو يسعى دائما إلى تحليل الظواهر الاجتماعية بربط الأدب بالمجتمع، وقد كان للماركسيين والفلسفة الوجودية إسهامات كبيرة في تطور هذا المنهج، فالأدب ظاهرة اجتماعية

[4]- صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، ط 01، سنة 2002، شارع قصر نيل القاهرة، ص55.

[5]- المرجع نفسه، ص 55 . 56.

وهو الركيزة الأساسية التي يعتمد عليها هذا المنهج، فلا يمكن دراسته بمعزل عن المجتمع وبرغم من اعتبار المنهج الاجتماعي من بين أهم المناهج السياقية في النقد الأدبي، إلى أنه وقع في مآزق ومطبات جعلته يتعرض لكثير من الاعتراضات والانتقادات من قبل المختصين والمشتغلين فيه، وذلك راجع إلى تقصيره في جوانب عديدة من خلال دراسته الأدب وربطه بالمجتمع دون التعمق في الأعمال الأدبية، وإهماله الإبداع الموجود داخل الأدب.

ب_ مأزق المنهج البنيوي :

من خلال ما تطرقنا إليه سابقا في نقد المنهج الاجتماعي الذي يعد من بين المناهج السياقية في النقد الأدبي، التي تقوم على ربط الأدب بالمجتمع، واعتباره المنهج الأول للأعمال الأدبية، إلا أنه واجه عدة انتقادات من قبل النقاد، إضافة إلى المآزق والمطبات التي وقع فيها هذا المنهج، وما يقابل ذلك المنهج البنيوي لم يسلم هو الأخر من الانتقادات والاعتراضات من قبل المشتغلين في الأدب بسبب وقوعه في مأزق ومن هنا سنحاول معرفة النقد الذي وجه للمنهج البنيوي، وتسليط الضوء على المطبات التي وقع فيها هذا المنهج.

تعد البنيوية من بين المناهج النسقية في الدراسات الأدبية والنقدية، والتي تعرف على أنها منهج فكري يبحث في العلاقات داخل نظام معين، فهي نسق عقلي يهتم بالبنية الداخلية للغة، وفي مفهومها الواسع «البنيوية هي القيام بدراسة ظواهر مختلفة كالمجتمعات، والعقول، واللغات والأساطير بوصف كل منها نظاما تامان، أو كلا مترابطا؛ أي بوصفها بنى، فتتم دراستها من حيث أنساق ترابطها الداخلية، لا من حيث هي مجموعة من الوحدات أو العناصر المنعزلة ولا من حيث تعاقبها

التاريخي»[6]، يتضح لنا من خلال هذا المفهوم على أن البنيوية هي نظام يقوم بدراسة الأنساق الداخلية للنص من حيث ترابطها، وكذلك تدرس العلاقات المتبادلة بين العناصر الأساسية المكونة لبنى عقلية، أو لغوية أو اجتماعية بعيد عن الإطار التعاقبي التاريخي الذي يقوم على الزمن.

إن البنيوية كمشروع نقدي لم تنشأ من فراغ، ولم تقم من العدم، إنما كانت لها خلفيات فلسفية وتاريخية، ولعل أبرز ما يميزها هو رفضها للتاريخ الذي يقوم على الزمن، فهي تقوم على تحليل النظريات التي تؤثر في العلوم الاجتماعية والإنسانية، لأنها تتعامل مع اللغة والخطاب فقط «فالبنيوية مدرسة فكرية تقوم على مجموعة من النظريات التي تؤثر في العلوم الاجتماعية والإنسانية دراسة البيانات وتحليلها»[7]، إن الأسس التي تقوم عليها البنيوية هي تحليلها لموضوعاتها من خلال تأثرها بالعلوم الاجتماعية والإنسانية، على غرار الانتروبولوجيا التي درست موضوعها وهو الإنسان بوصفه نسق قائم بذاته، معزول عن تاريخيته.

تعد الشكلانية الروسية اللبنة الأولى للبنيوية التي تشكلت على يد مجموعة من الباحثين وعلى رأسهم **"رومان ياكبسون"** الذي كان حلقة وصل بين الشكلانية والبنيوية من خلال تصوراته النظرية التي قدمها في عدد من دراساته، كما تعرف على أنها مدرسة نقدية ترى أن النص بنية فنية مغلقة مستقلة بذاتها لا ترتبط بوقائع خارجية، تهدف إلى قراءة جيدة للنصوص الأدبية بعيدا عن نمط الدراسات النفسية والتاريخية التقليدية، وجاءت الشكلانية الروسية مخالفة للماركسية المادية.

[6]- ليوناردو جاكسون: بؤس البنيوية – الأدب والنظرية البنيوية- تر:ثائر ديب، دار الفرقد، سوريا- دمشق، ط 02، 2008، ص 51.

[7]- محمد قاسم: النقد البنيوي – الخلفيات اللسانية والأسس المعرفية والخصائص-، الأثر مجلة الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، العدد 08، 2009، ص 157.

كانت دراسة الأدب عند الشكلانيين تقوم على دراسة الأدب بنفسه أو دراسة السمات التي تميز هذا الأدب، كما عزلت النص عن المؤثرات الخارجية الاجتماعية والتاريخية، واعتبرت النص مستقل بذاته، وهذا على غرار ما قامت به البنيوية في دراسة النص الأدبي بجعله بنية داخلية مغلقة مكتفية بذاتها وعزلته عن العالم الخارجي.

وبرغم من التوافق الذي بين الشكلانية الروسية والبنيوية في جعل النص بنية مغلقة لا ترتبط بالعالم الخارجي، وسعي البنيوية في دراسة النص بوصفه نصا لغويا فقط وعزله عن بيئته التي نشأ فيها، إلا أنه كان «هناك شبه إجماع بين الرافضين للمنهج البنيوي بل بعض البنيويين أنفسهم، على أن تطبيق النموذج اللغوي على أن النص الأدبي لا يحقق المعنى»[8]، فقد اعتبر أن دراسة النص الأدبي في بنية مغلقة كما جاء به المنهج البنيوي لا يعطي معنى، وعلى هذا كان الرفض من أصحاب هذا المنهج أنفسهم فكان « فشل البنيوية الحقيقي والذي تلتقي عنده ألوان القصور المختلفة في التحليل البنيوي هو عجز المنهج عن تحقيق المعنى برغم أن محوري النقد الحداثي كله هما اللغة والمعنى، وإذا سلما بكفاءة المنهج البنيوي في تقديم تحليل منهجي علمي للغة. فمن الصعب التسليم بكفاءته في تحليل النصوص الأدبية وإنارتها وتحقيق المعنى»[9]، إن فشل البنيوية كان في قصورها عن تحقيق المعنى، ذلك رغم تطبيقها لنموذج لغوي، إلا أنه لا يمكن الأخذ بالمنهج البنيوي في دراسة النص وتحقيق معناه.

[8]- عبد العزيز حمودة: المرايا المحدبة- من البنيوية إلى التفكيك-، سلسلة عالم المعرفة، رقم 232، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1978، ص 245.

[9]- المرجع نفسه، ص 244.

إلى جانب ذلك فشل المنهج في تحقيق دلالة نسق الرواية، وعدم صلاحيته في التطبيق على كل الأنواع الأدبية، أضف إلى ذلك الاختلاف الذي كان بين البنيويين في عدم إيجاد نموذج واحد معتمد عليه بينهم لتطبيقه على الأشكال السردية.

لقد كانت هناك عوامل كثيرة سعت إلى إفشال البنيوية وإعاقتها عن تحقيق هدفها الأساسي وهو مقاربة النص الأدبي ودراسته من داخله، جعلتها تقع في مآزق وأزمات، وذلك بسبب ترجمة البنيويين لذاتية النسق الأدبي ونظامه المستقل عن سياقه من خلال تحليل النص كما هو في ذاته ومن داخله، والمناداة بموت المؤلف، وهذا السبب الحقيقي وراء فشل المشروع البنيوي، إلى جانب أزمة المصطلح النقدي، واستبدال البنيوية فراغ موت المؤلف بالناقد البنيوي في الإبداع، إلا أن موضوع النقد الجديد نادى بفصل تحليل النص عن ذات المؤلف والناقد معا، فكانت أزمة البنيوية هي احتضانها لمقولات حقيقية في اتجاه اللغة النقدية الجديدة من أجل لفت النظر لها، بالإضافة إلى تطبيق أتباع البنيوية لمبادئ المنهج العلمي كالتجريب، والقياس، وقوانين المنطق، فكانت وجهتهم نقل نموذج التحليل البنيوي للغة، لكنهم فشلوا في ذلك واتجهت البنيوية إلى النموذج اللغوي بسبب القصور في الجانب العلمي، إلا أنها أكدت التجارب أن هذا النموذج لا يتفق مع النسق الأدبي فهو ملائم لصيغة بعض الأنواع الأدبية[10]، ومن هنا يتضح لنا أن فشل البنيوية وقصورها في عدة جوانب أوقعها في كثير من المآزق والمطبات التي فشلت من خلالها في تحقيق طموحها، والوصول إلى أهدافها لتحقيق المعنى داخل نسق مغلق مستقل بذاته منعزل عن سياقه الخارجي.

[10] – ينظر، عبد العزيز حمودة: المرايا المحدبة –من البنيوية إلى التفكيك –، ص 250 -251.

يتضح لنا مما سبق ذكره أن البنيوية تعد من بين أهم المناهج النسقية في النقد الأدبي، ذلك من خلال دراستها للنص في بنيته الداخلية المستقلة بذاتها،واعتمادها على تجارب لغوية وعلمية، وبرغم التوافق الذي كان بين البنيوية والشكلانية الروسية في سعيهما إلى جعل النص بنية مغلقة مكتفية بذاتها لا ترتبط بالعالم الخارجي، إلى أن معظم هذه التجارب باءت بالفشل، ووقعت بذلك البنيوية في مآزق لم تستطع من خلالها تحقيق النسق الداخلي للمعنى، وذلك راجع إلى عدم صلاحية هذا المنهج في التطبيق على كل الأنواع الأدبية، وقصورها عن تحقيق دلالة المعنى.

المبحث الثاني: البنيوية التكوينية (المفاهيم المؤسسة للسوسيونصية):

من المعروف عن النقد الأدبي علاقته الوطيدة بخلفيات معرفية ينطلق منها سواء فلسفية أو إيديولوجية أو أي خلفية أخرى، أما مناهج النقد الأدبي فإنها تنطلق من خلفيات معينة مثل المنهج النفسي الذي يعتمد على نظرية التحليل النفسي ل **"سيغموند فرويد" Sigmund Freud** والمنهج الاجتماعي ينطلق من نظريات ماركسية وهيغلية وغيرها من النظريات.

1_ الخلفيات الفلسفية للبنيوية التكوينية: Structuralisme Génétique

تعتبر البنيوية التكوينية كغيرها من المناهج والنظريات النقدية، تنطلق من خلفيات محددة انطلق منها فلاسفة أمثال **"جورج لوكاتش" Lukacs Georg** و**"لوسيان غولدمان"Lucien Goldman** الذي يعتبر المؤسس الفعلي للبنيوية التكوينية، التي انطلقت من الفلسفة المثالية بالإضافة إلى الماركسية، إن الفلسفة المثالية تشكل أساسا للبنيوية التكوينية وهذا ما أكد عليه **"نور الدين**

صدار" « تعد الفلسفة المثالية الأفلاطونية إحدى الأسس النظرية للبنيوية التكوينية »[11]، ومن خلال ما أكد عليه "**نور الدين صدار**" لابد من بيان طبيعة هذه الفلسفة؛ أي المثالية باعتبارها مرجعا نقديا انطلقت منه البنيوية التكوينية في تطور نتاجها الفكري.

تعود جذور الفلسفة المثالية إلى "**أفلاطون**" **Platon** و"**أرسطو**"**Aristote** وصولا إلى "**ديكارت**" **Descartes** و"**هيغل**" **Hegel** «فهي الفلسفة التي قالت بأسبقية الوعي على المادة باعتبار أن الوعي هو المكون الباني للمادة أو الشكل ومن هنا كان عالم المثل هو العالم الأصيل الذي يتماثل مع العالم الطبيعي القائم على التقليد»[12]، يتبين لنا أن أفلاطون والفلاسفة المثاليون يعطون امتيازا للفكرة على حساب الواقع؛ أي أسبقية الوعي على المادة، فعالم الحقيقة لا يوجد في الواقع إنما في الفكرة ولذلك قسم"**أفلاطون**" العالم إلى ثلاثة أقسام متفاوتة من حيث الأهمية، فعالم المثل هو عالم الحقيقة كلها كاملة غير منقوصة وموحدة وهو عالم عقلي، أما العالم الواقعي عنده فهو ناقص يمثل نسخ للحقيقة الأولى ومحاكاتها وعالم الفن المرتبط بالإبداع الذي له أثر على السلوك البشري.

من خلال ما قدم سابقا سنحاول فيما يلي بيان العلاقة التي تربط الفلسفة المثالية بالبنيوية التكوينية، حيث أن البنيوية التكوينية، أعادت النظر في المسلمات التي وضعتها هذه الفلسفة باعتبار أن «كل سوسيولوجيا للفكر تقبل بوجود تأثير للحياة الاجتماعية على الإبداع الأدبي وبالنسبة للمادية الجدلية تعتبر ذلك مسلمة أساسية، مع إلحاحها بصفة خاصة، على أهمية العوامل الاقتصادية

[11]- نور الدين صدار: البنيوية التكوينية في المقاربات النقدية العربية المعاصرة، علم الكتب الحديث، إربد . الأردن، ط 01، 2018، ص 08.

[12]- المرجع نفسه، ص 08.

والعلاقات بين الطبقات الاجتماعية»[13]، إن النظرية التي وضعتها الفلسفة المثالية باعتبارها مسلمة أساسية خالفت ما جاءت به الفلسفة المثالية الماركسية، انطلاقا من نظرية الانعكاس التي نادت بأسبقية المادة على الوعي؛ أي تأثير البنى التحتية في الفوقية، ونجد أن هذا التطور لا ينطبق على الفلسفة المثالية.

إن النظرية التي قامت عليها الفلسفة الماركسية بأسبقية المادة على الفكر، فإننا نجد الكثير من الفلاسفة قد اعترضوا على ذلك أمثال "**لوكاتش" و"غولدمان"** مع إيمانهم العميق بالماركسية، فإنهم أعادوا النظر في تلك الأحكام وفكروا في تغيير مسلماتها[14]، مما سبق نجد أن هناك تناقض بين النظرية الماركسية التي انطلقت من نظرية الانعكاس التي ألحت على مسلمة أساسية هي أسبقية المادة على الفكر، وأصحاب هذه النظرية الذين غيروا من أحكامهم وفكروا من داخل الماركسية في إعادة النظر في مسلماتها، فالبنيوية لا تؤمن بالانعكاس الآلي؛ أي أن الأدب ظل للمجتمع وتابع له بل تؤمن بالتماثل بين البنية الفنية والبنية الاجتماعية كما سنوضحه في ما يلي من المفاهيم الإجرائية للبنيوية التكوينية.

[13]- لوسيان غولدمان وآخرون: البنيوية التكوينية والنقد الأدبي، تر محمد سبيلا، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت - لبنان، ط 02، 1986، ص 13.

[14]- ينظر، المرجع نفسه، ص 13.

2 _ المفاهيم الإجرائية للبنيوية التكوينية:

إن الحديث عن مفاهيم البنيوية التكوينية يقودنا أساسا إلى ما قدمه المفكر والفيلسوف "**لوسيان غولدمان**" لكل مفاهيم هذا المنهج النقدي الأساسية، من الوعي الكائن والممكن، إلى رؤيا العالم، إلى البنى الدلالية وغيرها من المفاهيم التي ينهض عليها هذا المنهج النقدي.

أ_ الوعي القائم(الكائن): la consiciènce réelle

يمكن أن نجد لهذا النوع العديد من المسميات، كالوعي الكائن، أو الوعي الفعلي، أو الوعي الواقع، إلى أن مفهومه يبقى ثابت وهو «ذلك الوعي الناتج بطبيعته عن الماضي كموروث بكل زخمه الحضاري، والثقافي، والتاريخي الذي جاء إلى الحاضر الذي يعيد فهمه وصياغته انطلاقا من تلك المؤثرات والمعتقدات الراسخة في ذهن الجماعة الاجتماعية، التي تحكم مصيرها وتسير شؤون حياتها»[15] إن الوعي القائم أو كما يعرف بالوعي الفعلي، هو الوعي الذي ينتج عن الماضي بجميع أبعاده وظروفه والمعتقدات الراسخة بظروفها الاجتماعية، والاقتصادية والدينية.

ب_ الوعي الممكن: la consiciènce possible

إذا كان الوعي القائم هو وعي لحظي فعلي يحاول فهم الواقع وتفسيره انطلاقا من الظروف الاجتماعية وسياسية والاقتصادية، والفكرية دون أن يكون لها تصور مستقبلي، فإن الوعي الممكن يتجاوز الوعي القائم كونه وعي التفسير والتطوير، فيصبح وعيا إيديولوجيا مستقبليا، والوعي الممكن «هو ذلك الوعي المنظور عن الوعي القائم ذي الملامح السكونية السالبة التابعة لتداعيات أحداث

[15]- محمد الأمين بحري: البنيوية التكوينية من الأصول الفلسفية إلى الفصول المنهجية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 01، 2015، ص 160.

عالم الواقع الراهن المستحكم في سيرورة تفاعل الطبقات الاجتماعية. لكن هذا الوعي الممكن يتجاوز في تطلعه وتعبيره عن مكنوناته ذلك المستوى السكوني للوعي القائم الذي أتاح وجوده، ليشكل في مستوى أعمق إدراكا أكثر تجريدا وشمولا للتجربة الإنسانية، وتصورا أمثل لمستقبلها يمنح بعدا آخر لمعالجة الأزمة »[16]، نفهم مما تقدم أن الوعي الممكن هو وعي يتضمن الوعي الفعلي؛ أي أنه يتكون منه ويتجاوزه ليصير شموليا، وخلافا للوعي الكائن الذي يحاول فهم الواقع في لحظته الآنية، فالوعي الممكن هو الذي يحرك فكر الجماعة ويشكل حاضره ومستقبله.

قدم **"جمال شحيد"** مثالا عن ذلك من الثورة الفرنسية من خلال الطبقات الشعبية المحرومة في فرنسا «فالفلاحون الروس الذين تحولوا إلى عمال بعد 1912 هم الذين انجحوا ثورة أكتوبر، لأن تطلعاتهم قد تغيرت فمن قبل، كانوا يملكون بعض العقارات الصغيرة والأملاك المحدودة، وإذا لم يكن أفقهم السياسي متوجها نحو الاشتراكية وتأميم الملكيات الفردية، ولكنهم عندما عاشوا ظروفا جديدة كعمال مستغلين ومستلبين (بالفتح)، هم الذين سارعوا إلى تحقيق وتطبيق مبادئها الاشتراكية»[17]، من خلال ما قدمه **"جمال شحيد"** من هذا المثال عن التجربة الإنسانية التي عاشها الفلاحون الروس من أجل تحقيق وعي جماعي ومحاولة منهم لتغيير واقعهم المعاش.

[16]– محمد الأمين بحري: البنيوية التكوينية من الأصول الفلسفية إلى الفصول المنهجية، ص 161.

[17]– جمال شحيد: البنيوية التكوينية "دراسة في منهج لوسيان غولدمان"، دار التكوين للتأليف، دمشق . سوريا،ط 01، 2013، ص 55.

ج_ **رؤية العالم: la vision du monde**

يعتبر مفهوم رؤية العالم عنصرا أساسيا في تشكيل البنيوية التكوينية وهي من المفاهيم الرئيسية لدى **"لوسيان غولدمان"** والتي أسس من خلالها منهجه، الذي يقوم على مسلمة مفادها اعتبار الأدب والفلسفة تعبير عن رؤية العالم، فهي تعبر عن وقائع جماعية وليست فردية؛ أي أنها تبتعد عن النسق الفردي وتتسم بالطابع الاجتماعي «فإننا لا نستطيع أن نفهم هذا العمل «الفردي» إلا من خلال الإطار الذي كتب فيه، ذلك أن هذا العمل مهما أغرق في الفردية يتوجه إلى الخارج، وإلا فلماذا كتابته وطباعته وتوزيعه وإعادة طباعته؟ فهناك بعدان في كل عمل فني بعد اجتماعي (منطلق من الواقع المعيش) وبعد فردي(منطلق من خيال الفنان)، ولذا فإننا نفترض وجود «آخرين» غير الفنان، لهم علاقة قراءة أو نظر أو سماع، يتوخون من خلالها إيجاد رؤية أو أفق أو حل لمشكلة مشتركة للفنان وجمهوره»[18]، من خلال هذا المفهوم تتجاوز رؤية العالم، العمل الفردي إلى العمل الجماعي والتي ينقلها الكاتب من الوعي الممكن في العمل الأدبي، فهي تعبر عن الأسلوب والتقنيات الفنية التي وظفها الكاتب من أجل التعبير عن أفكارهم وأحاسيسهم وتطلعاتهم، ذلك أن العمل الفردي لا يمكن فهمه إلا في إطاره الاجتماعي.

إن رؤية العالم عند **"غولدمان"** تتجاوز الأفكار فهي تشمل المشاعر والأحاسيس المشتركة بين أفراد الطبقة الاجتماعية، كونها رؤية جماعية «فكانت رؤية العالم بمثابة الحاسة الذهنية السابعة بعد الحدس الذي يتوسلها الإنسان (العبقري في مجتمعه) في كشف حقيقة الواقع وجوهره وأبعاده

[18]– جمال شحيد: البنيوية التكوينية "دراسة في منهج لوسيان غولدمان"، ص 52.

فيجسدها عبر أعماله الإبداعية التي تعكس درجة عمق الرؤيا وإدراك الواقع اللذان يقوم عليهما موقف الإنسان من العالم»[19]، إن رؤية العالم ما هي إلا محاولة للكشف عن الواقع وتجسيده في الأعمال الإبداعية والأدبية.

د_التماثل: Homologie

يعد التماثل من المفاهيم الرئيسية للبنيوية التكوينية، ولها أهمية كبيرة بالنسبة لموضوع بحثنا إلا أنها تتعلق بالعلاقة بين الأدب والواقع **"فغولدمان"** حاول تجاوز النظرة الآلية للنظريات الماركسية، التي كانت تنظر إلى الأدب على أنه انعكاس للواقع، إلا أن هذه النظرة بدأت في زوال وتغيرت مع كل من **"لوكاتش"** و**"غولدمان"** حيث يرى كل منهما على أن الأدب والمجتمع لا تربطهما علاقة الانعكاس، وهذا ما اختلفت فيه البنيوية التكوينية عن المنهج الاجتماعي بتوظيفها لمفهوم التماثل، خلافا لمفهوم الانعكاس، فمبدأ الانعكاس يثق بأن الأدب ما هو إلا ظل للواقع فلا يحرك فيه شيء فهو يتبع الواقع، بالتالي فإن الامتياز هنا يمنح للبنية التحتية وهي الفاعلة والمأثرة في البنية الفوقية لكن **"لغولدمان"** رأي أخر في المسألة حيث يرى بأن العلاقة قائمة على مبدأ التقابل أو ما يعرف «بالتماثل أو التناظر من المفاهيم اللغوية التي جاءت بها البنيوية التكوينية من أجل إلقاء الضوء على الصلة الحتمية بين العمل الأدبي والبنية الدالة الكبرى»[20]؛ أي أن التماثل ناتج عن الانسجام و بين الإبداع الأدبي والواقع الاجتماعي وهذا ما تميزت به البنيوية التكوينية عن المنهج الاجتماعي.

[19]- محمد الأمين بحري: البنيوية التكوينية من الأصول الفلسفية إلى الفصول المنهجية، ص 168.

[20]- نور الدين صدار: البنيوية التكوينية في المقاربات النقدية العربية المعاصرة، ص 08.

إن العلاقة بين الأدب والمجتمع ليست علاقة انعكاسية، إنما هي علاقة التفاعل المتبادل بين المجتمع والأدب، فهي تتطور مع البنيات الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية وتتماثل معها، فمفهوم التماثل في البنيوية التكوينية ليس رديفا لمفهوم الانعكاس وجوهر هذا المنهج هو العلاقة التي تربط العمل الإبداعي بالواقع فالصلة بين هذا العمل مع الواقع هي من قبيل القانون الجدلي؛ أي عدم التعامل مع العمل الأدبي على أنه انعكاس للعالم الاجتماعي.[21] إن العلاقة بين الأدب والواقع أو الأديب والعالم الذي يعيش فيه ليست قائمة على الانعكاس أو تبعية أو أحدهما للأخر، بل تقوم على مبدأ التماثل أو التطابق ففي اللحظة التي يعي فيها المجتمع أو طبقة اجتماعية إحساسا جماعيا بالرغبة في الثورة أو التطلع لعالم أفضل وذلك أيضا من خلال عوالم النص الأدبي والكتابة.

هـ_الفهم والتفسير: la compréhension et Explication

لقد كانت قراءة "**لوسيان غولدمان**" للبنيوية التكوينية قائمة على مستويين الفهم والتفسير، وهما جزءان مشتقان من عملية واحدة تكون في موضوع قابل للتفسير والشرح، فالأول (الفهم) يهتم بدراسة النص في مستواه الضمني الداخلي، والثاني (التفسير) يشتغل على المستوى الخارجي، فهما يختصران المبدأ الذي تقوم عليه البنيوية التكوينية.

*** الفهم: Compréhension**

يرى "**غولدمان**" أن مصطلح الفهم يقصد به تحليل نص أو جزءا من هذا النص، فالفهم مفهوم ينطبق على مصطلح البنية الذي هو«عملية فكرية تقوم على الوصف الدقيق والموضوعي للدلالات

[21]- ينظر، نور الدين صدار: البنيوية التكوينية في المقاربات النقدية العربية المعاصرة، ص 72.

المنبثقة من النص المدروس دون الخروج عنه قيد أنملة. كي يتسنى للباحث في هذه الخطوة استخراج النماذج البنيوية الدلالية المبسطة والأولية ذات العلاقات البينية المحدودة، والدلالة الإجمالية السارية عبر كامل أوصال النص»[22]، إن الفهم جاء ليؤكد ما جاءت به البنية الدلالية التي تحمل علاقة بالبنية التي توجد داخل النص والتي تشكل لنا المضمون؛ أي دراسة البنية السطحية للنص للوصول إلى تفسيره وتأويله.

تستوجب هذه المرحلة فهم النص من الداخل؛ أي فهم الأفكار وأسلوب البطل، والعلاقة التي تجمعه بباقي الشخصيات دون ربط النص بسياقه «فالفهم مفهوم ينطبق على مصطلح البنية [**estructur**] الذي تناول البنية السطحية للنص والكشف عن بنية دالة محايثة للموضوع المدروس، وهذا يتطلب من الباحث أن يحيط بمجمل النص وأن لا يضيف إليه أي شيء؛ أي دراسة البنية السطحية للنص والانطلاق من النص للوصول إلى تفسيره وتأويله.»[23]، من أجل فهم جيد للنص يجب علينا الانطلاق من البنية السطحية للنص للوصول إلى المعنى تام له.

***التفسير: Explication**

التفسير عند **"غولدمان"** مرتبط بمفهوم التكوينية **génétique** الذي يقصد به الدلالة العميقة للنص «والتفسير هو البحث عن الذات الفردية أو الجماعية التي اتخذت البنية الذهنية المنتظمة للعمل الأدبي بفضلها طابعا وظيفيا وذا دلالة لذلك كان العمل الأدبي يمتلك وظيفة فردية وهو مرتبط بالبنية

[22]- محمد الأمين بحري: البنيوية التكوينية من الأصول الفلسفية إلى الفصول المنهجية، ص 153.

[ ]_ كذا في الأصل والوجه structure

[23]_ نعيمة بولكعيبات: سوسيولجيا النص تاريخ المنهج وإجراءاته، ص32.

الذهنية المشكلة للعمل الأدبي»[24]، ويقصد بهذا أن العمل الأدبي ذو طبيعة فردية، وله علاقة وطيدة بالبنية الذهنية المنتظمة والتي تحمل لنا بدورها دلالة تشكل العمل الأدبي.

إن التفسير هو تفسير البنية الدالة للنص وذلك بربطها بالطبقة الاجتماعية التي تعبر عنها، والهدف من هذه المرحلة هو دمج البنية الدالة للنص باعتبارها عنصرا تكوينيا و وظيفيا ضمن بنية أشمل هي البنية المجتمعية وذلك لأن «التفسير بطابعه التخارجي أوسع من الفهم المحدد بنطاق بحثه في العلاقات التداخلية في العمل، بل إن التفسير يحتويه ويتجاوزه كي يجد له معادلات وتماثلات في العالم الخارجي»[25]، إن التفسير في مجمله يكون أوسع من الفهم، وهذا يعني أنه لا يمكننا فهم وتفسير البنية الدلالية دون ربط النص بمستويات الوعي الموجودة في الواقع الاجتماعي، والفهم هو الذي يكسبنا رؤية متكاملة على المستوى الداخلي (النص) والمستوى الخارجي (المجتمع).

و_ البنية الدلالية: Structure Significatif

إن البنية الدلالية لها علاقة بتحليل السوسيونصي وبمنطلقات **"بيير زيما"** لأن فيها جانبين ما هو نصي وما هو سوسيولوجي؛ فالنصي يكمن في مرحلة الفهم، والسوسيولوجي يكمن في مرحلة التفسير، وتعتبر البنية الدلالية من بين المرتكزات والمفاهيم والمبادئ التي نشأت وقامت عليها البنيوية التكوينية، ودائما ما يعود الفضل في توظيف واستعمال هذا المصطلح في الأعمال الأدبية إلى **"غولدمان"** حيث أخذه من أستاذه **"لوكاتش"** « وهي المبدأ الأول في مسار التحليل البنيوي التكويني، كونها أشمل خطوات هذا المنهج، والمقولة الأساسية التي تتقصاها دراسته نحو استكشاف

[24]- نعيمة بولكعيبات: سوسيولجيا النص تاريخ المنهج وإجراءاته، ص 32.

[25]- محمد الأمين بحري: البنيوية التكوينية من الأصول الفلسفية إلى الفصول المنهجية، ص 156.

رؤية العالم، ذلك أن هذه البنية تنطلق من التصور الجمعي والشمولي لمفهوم الرؤية، بداية من تضافر البعدين الفردي والجماعي»[26]، هذا التصور الشمولي لا يتحقق إلا إذا كان هناك وجود للبعد الجماعي والفردي؛ أي أن البنية الدلالية هي الواقع ورؤيا التي تحدد الانسجام والتماسك الذي يحقق شمولية النص.

البنية الدلالية هي الواقع المدروس والفاعل الدارس لها وهي تبحث عن تحقيق الانسجام والتماسك الذي يحقق شمولية النص «هذه الشمولية التي يشترك فيها معا العمل الذي يجب دراسته والباحث الذي يقوم بهذه الدراسة، ونرى من خلال ذلك أن البنية هي فاعل ومفعول في آن، هي الواقع المدروس والفاعل الدارس لها»[27]، ويقصد بها البنية التي تتيح لنا فهم الظاهرة الاجتماعية في شموليتها، بمعنى ربط الظاهرة بالوعي الجماعي وهذه البنية لا تتجلى في فكر جميع أفراد الطبقة الاجتماعية إنما تتجلى في وعيهم.

وفي الوقت الذي نحاول فيه فهم البناء الداخلي للنص، لابد لنا كذلك من ملاحظة العناصر التكوينية التي تجعل من هذا العمل الأدبي يلتحم مع غيره من النصوص الأدبية «إذن فالبنية الدلالية هي البحث في أعماق العمل الفني للوصول إلى البنية العميقة الدالة»[28]، أي لا يمكن للفرد أن يكوّن بنية ذات دلالة ما لم تكن هذه البنية العامة الشاملة للطبقة الاجتماعية، التي تتدخل في تكوين الذات الفردية، ولا يمكننا الكشف عن هذه البنية الدالة داخل النص دون اتباع آليتي الفهم والتفسير،

[26]– محمد الأمين بحري: البنيوية التكوينية من الأصول الفلسفية إلى الفصول المنهجية، ص 146.

[27]_ جمال شحيد: البنيوية التكوينية _دراسة في منهج لوسيان غولدمان_، ص 107.

[28]_ نعيمة بولكعيبات: سوسيولوجيا النص تاريخ المنهج إجراءاته، ص 35.

فلابد من فهم النص في ذاته كبنية مغلقة، ثم تفسير هذه البنية بربطها بالواقع الاجتماعي الذي تعبر عنه.

المبحث الثالث: إسهامات ميخائيل باختين: Mikhaïl Bakhtine

يعد "**ميخائيل باختين**" Mikhaïl Bakhtine من أكثر الباحثين السوسيولوجين الذين تناولوا النص الروائي، وقد أخذ "**باختين**" أفكاره من الفلسفة المادية الجدلية، والنزعة الشكلانية، وتبلورت هذه الأفكار من خلال كتابيه الماركسية وفلسفة اللغة، وشعرية "**دوستويفسكي**" كما أنه لم يتجاوز أراء وأفكار "**غولدمان**"، واعتبارها مكملة لجانب منها « فباختين أقرب الباحثين السوسيولوجيين الذين تناولوا النص بشكل الذي أوضحه "**بيير زيما**" »[29]، فبرغم من الجهود التي بذلها "**بيير زيما**" في ميدان سوسيولوجيا النص إلا أنه لا يمكن اعتباره المؤسس لهذا الاتجاه، فبحكم ما قدمه "**باختين**" من أفكار وسبقها للزمن، يمكن اعتباره المؤسس الحقيقي لهذا الاتجاه من خلال الأطروحات التي وضعها دراسة النص.

يرى "**باختين**" أن للجانب اللساني أهمية كبيرة في دراسة مكونات النص الروائي، ويعتبر أن اللغة هي التي تجسد الصراعات في المجتمع، و« لقد تبين لنا أن "**باختين**" قد جعل اللسانيات مدخلا ونموذجا لتأسيس سيميوطيقا [**séniotique**] عامة يمكن اعتبارها أيضا كما يقول "**ميشال أكوتوربيه**" بمثابة علم عام للإيديولوجيات، وأن هذا سيكون في نظره أيضا سوسيولوجيا لأن الدليل،

[29]– صالحة عباسي: سوسيولوجيا النص الأدبي وتطبيقاتها في النقد العربي، مذكرة لنيل شهادة ماجستير، قسم اللغة والأدب العربي، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية ، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، ص 42.

[ ] _كذا في الأصل والوجه sémiotique

بالنسبة له كما تبين سابقا، ليس نتاجا للوعي الفردي، ولكنه يأخذ مدلوله في الحقل الاجتماعي»[30]، اعتبر **"باختين"** تأسيس سيميوطيقا يعتمد على اللسانيات باعتبارها علم الإيديولوجية، فهي نتاج فردي يستمد أفكاره من المجتمع.

إن الجهود التي قدمها **"ميخائيل باختين"** جمع فيها بين النص والسوسيولوجي وهو ما نجده في فلسفته اللغوية أنه يحلل الواقع تحليلا عميقا من خلال علاقة اللغة بالواقع الاجتماعي والاقتصادي، ففي تحليله لهذه العلاقة يبني أرائه حول الرواية من خلال معطيات فلسفية وتصورات نقدية في حقل الرواية[31]، إن دراسة اللغة عند **"باختين"** هي دراسة الدلائل من خلال تفاعلها مع العلاقات الاجتماعية والاقتصادية مع ارتباطها بالواقع.

أسس **"باختين"** أفكاره وأرائه حول الرواية من خلال تحليل العلاقة الموجودة بين اللغة والواقع الاجتماعي والاقتصادي، فالرواية عنده خطاب ذو صيغة حوارية فهي ترجمة أيديولوجية للغة الآخرين، فدورها الكشف عن اللغات و الإيديولوجيات لإظهار العوالم الاجتماعية والتاريخية، والإيديولوجية «فباختين يتخذ الرواية هنا كمثال لتوضيح أخطاء التعامل الآلي مع الإيديولوجيات، فيرى أن الجهل بالخصائص النوعية للمادة الإيديولوجية يوقع الدارسين في أخطاء كثيرة، منها مثلا أنهم يقتصرون على ذكر قيمها التعيينية العقلانية " **valeur**"»[32]، يقوم تصور **"سوسير"** على أساس صوري مجرد فاللغة عنده نظام أو نسق من الرموز لا يميل إلا إلى ذاتيه، ولهذا ميز بين الكلام الذي هو تحقق فردي

[30]- حميد لحميداني: النقد الروائي والإيديولوجيا، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط01، 1990، ص 77.
[31]- ينظر، المرجع نفسه، ص 73.
[32]- المرجع نفسه، ص 75.

للاستعمال اللغوي وبين اللسان الذي هو نظام رمزي، والدراسة اللسانية تتركز على الثابت لا على المتغير، ومن ثمة يتم غزل الاستعمال اللغوي عن سياقه الاجتماعي، في حين أن **"لباختين"** تصور مختلف فالعلامة اللغوية لا يمكن فصلها عن إطارها الاجتماعي.

ومن هنا أسس **"باختين"** لسوسيولوجيا اللغة، تحليل اللغة لا يمكن النظر إليه على أنه مجموعة من العلامات اللغوية، المجردة بقدر ما هي ذات أبعاد ومحاولات سوسيولوجية لا يمكن الانفصال عنها «باعتبارها دلائل مركبة في نسق معين، هي في الوقت نفسه إيديولوجيا، كما أنها بالضرورة تجسيد مادي للتواصل الاجتماعي، ولذلك فدراسة الدلائل اللغوية تعني في الوقت نفسه التعامل مع العلاقات الاجتماعية والاقتصادية الموجودة في الواقع»[33]، يعتبر **"باختين"** ممهدا حقيقيا لسوسيونصية التي راهنت على قراءة النص في تمفصله البنيوي الشكلي الذاتي بالانفصال على سياقه الاجتماعي، فقد قدم لنا تصورا جديدا في نظرية الرواية التي أحدثت تأثيرا واسعا على الفكر العالمي؛ لأن **"باختين"** بنظريته كان يعتبر من بين أهم منظري الأدب في القرن العشرين لما جاء به من أبحاث.

أ/مفهوم "باختين" لرواية:

بما أن الرواية في نظر **"باختين"** هي عبارة عن خطاب متعدد الأصوات، ويحمل صيغة حوارية فيقول« إن العمل الأدبي والروائي بوجه خاص، إطار تتفاعل فيه مجموعة من الأصوات أو الخطابات المتعددة إذا تتحاور متأثرة بمختلف القوى الاجتماعية من طبقات ومصالح فئوية وغيرها»[34]، إن

[33] _ حميد لحميداني: النقد الروائي والأيديولوجيا، ص 74.

[34] _ سعد البازغي وميجان الرويلي: دليل الناقد الأدبي، إضاءة لأكثر من سبعين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 03، 2002، ص 318.

الرواية عند "**باختين**" تكشف اللغات الاجتماعية، والأيديولوجية، فالرواية تعتبر ترجمة لما يجول في المجتمع.

أسس "**ميخائيل باختين**" نظريته انطلاقا من دراسته لأعمال الكاتبين الروسيين "**تولوستوي**" و"**دوستويفسكي**"، التي تميزت بتعدد الأصوات، واختلافها « وقد أمكنه أن يبلور، أثناء دراسته لرواية "**دوستويفسكي**" مفهوما على غاية من الأهمية، هو مفهوم الحوارية **Dialogisme** إنه مبدأ أساسي في تحليل طبيعة الرواية وتفسيرها»[35]، فباختين يرى بأن روايات "**دوستويفسكي**" تميزت بتعدد الأصوات الذي يفسح المجال لشخصيات العمل الروائي للتعبير عن رأيها ووجهة نظرها؛ لأن الشخصيات يبقى لها صوتها الخاص، واكتشف مفهوما جديدا هو الحوارية واتخذه أساسا لدراسة، وتحليل الرواية وتفسيرها.

يبني "**باختين**" أرائه حول الرواية على أساس تحليل العلاقة القائمة بين اللغة والواقع الاجتماعي والاقتصادي ويرفض تماما مبدأ السببية باعتبار أن العلاقة بين البنية التحتية والفوقية ليست سببية، إنما البنية الفوقية (إيديولوجيا_الأدب) هي امتداد للبنية التحتية (العلاقات الاقتصادية) وليست مجرد نتيجة لها فقط، بل هي واجدة من تجلياتها على المستوى الأيديولوجي « إن "**باختين**" يرفض تماما مصطلح السببية (lacausalité) لأنه يقودنا، في نظره، عادة إلى ربط علاقة ميكانيكية بين الإيديولوجيا (اللغة كدلائل) وبين البنية التحتية وهو يرى بهذا الصدد أن العلاقة بين البنية التحتية والبنية الفوقية ليست علاقة سببية بالمعنى الذي يحدد التيار الوضعي للمدرسة الطبيعية، فالبنية الفوقية

[35]_ حميد لحميداني: النقد الروائي والأيديولوجيا، ص 79.

ليست مجرد نتيجة، ولكنها امتداد للبنية التحتية وتجل آخر لها على المستوى الإيديولوجي»[36]؛ أي أن البنية التحتية، والبنية الفوقية تظهر على المستوى الإيديولوجي وفي هذا الصدد لا تبقى الإيديولوجيا مجرد نتيجة ولكنها تصبح مندمجة مع البنية التحتية.

إن "**باختين**" لا يعتبر الأدب مجرد تعليق عن الحياة الاجتماعية، إنما لا بد من دمجه في العلاقات الاجتماعية، ويجب دراسة العمل الأدبي في ذاته وعلاقاته الداخلية « فميخائيل باختين يقدم تصورا خاصا للإيديولوجية في الرواية يتعارض مع تصورات النقد الاجتماعي، الذي يجعل النص الأدبي انعكاسا أليا لبنية اجتماعية، ويحمل بصورة نسبية موقف مبدعه ويطالبه بأن يكون طرفا في معادلة الصراع الإيديولوجي بشكل مباشر »[37]، بما أن الموضوع الأساسي في الرواية هو المتكلم، والمتكلم أساسا فرد اجتماعي، والخطاب لغة اجتماعية، وهو يقدم لنا وجهة نظر عن الواقع الذي يعيش فيه، والشخصية في الرواية تكشف لنا عن وضعها الأيديولوجي الذي بطبعه لا يكون مختلف عن موقف الكاتب، فهي بدورها تخضع لسلطته التي لا تسمح لأفكارهم وتصوراتهم بالظهور إلا في إطار خدمتها لأفكاره وتدعيمها لإيديولوجيته.

ب/ أقسام الرواية عند "باختين":

يميز لنا "**باختين**" بين نوعين أو مظهرين من مظاهر التعامل مع الإيديولوجية في الرواية وهما الرواية المنولوجية المناجاتية، والرواية الحوارية الديالوجية.

[36]_ حميد لحميداني: النقد الروائي والأيديولوجيا، ص 75.

[37]_ علي سحنين: سوسيولوجيا النص الروائي في النقد العربي_ قراءة في أطروحات باختين وزيما_، ص 199.

1_ الرواية المنولوجية :le roman Monologique

ذات صوت أحادي، وهو صوت الكاتب الذي يوجه جميع الأصوات الأخرى التي تحتويها الرواية، وذلك « باحتوائها على الفكرة الواجدة والصوت الواحد وترفض كل أشكال الوعي الأخرى، ومختلف أنماط التعدد الصوتي التي تعرفها الرواية، ذلك لأن تصور المؤلف ووعيه وأفكاره وإيديولوجيته هي التي تهيمن وتسيطر، ويسعى هو بدوره إلى توكيدها ودفاع عنها بوصفها أفكار صائبة ويقينية غير قابلة للدحض والرد»[38]، الرواية المنولوجية التي جاء بها **"باختين"** تتميز بأنها ذات صوت واحد وهو صوت الكاتب فقط وهو المتحكم في الأصوات الموجودة داخل الرواية، ويسعى أيضا من خلالها الكاتب إلى إقناع المتلقي بأهمية رؤيته متجاهلا أفكار الغير، فالكاتب يسعى إلى تأكيد وجهة نظره، ويرى أن وجهة نظر الآخرين تكون خاطئة، فلمبدع ينفي كل التصورات الأخرى وينتقدها بطريقة مباشرة، وهذا ما يصنع لنا الرواية المنولوجية التي تكون فيها السلطة المطلقة لأسلوب الكاتب.

2– الرواية الديالوجية الحوارية: le roman Dialogique

إن الرواية في نظر **"باختين"** خطاب متعدد الأصوات ذا صيغة حوارية، وهي عكس ما جاءت به الرواية المنولوجية فهي تفرض على الكاتب توزيع الشخصيات في مختلف الطبقات الاجتماعية ويصفها باحتين بأنها « تصورا مغايرا ومناقضا لسابقه كونه يفسح المجال واسعا أمام التعدد الصوتي والإيديولوجي للشخصيات، كما أنه لا يسمح بأي شكل من أشكال التوجيه والهيمنة المطلقة للمؤلف، مانحا فرصا متكافئة وحظوظا مشتركة ومتساوية للجميع من أجل التعبير بحرية عن مواقفهم

[38]_ علي سحنين: سوسيولوجيا النص الروائي في النقد العربي_ قراءة في أطروحات باختين وزيما_، ص200.

وأفكارهم، ومن أجل إنتاج كل شخصية لأسلوبها ولغتها الاجتماعية الخاصة بها دون توجيه من المؤلف الذي يبقى دوره حياديا »[39]، يرى **"باختين"** أن الكاتب يحتاج إلى تعددية الأصوات اللغوية لنسج عمله الأدبي وهذا ما يسمى بالحوارية، وينفي دور المؤلف ويمنح فرص متساوية لجميع الشخصيات من أجل التعبير عم مواقفهم، وأيضا يحاول الكاتب في هذا النوع من الرواية المحافظة على التفاوت بين الشخصيات، وهذا ما يبني لنا أشكال الحكي في الرواية، ويستفيد أيضا من تعددية الأصوات اللغوية لنسج عمله الأدبي، وقد اتسمت جل الكتابات الروائية بالطابع الحواري، وما يصنع الحوارية في الرواية هو تعددية الأساليب واللغات.

إن الرواية الحوارية تستمد جمالها من تعدد الأصوات والرؤى، لأن أسلوب الرواية هو الذي يفرض على الباحث مراعاة تعددية الأصوات، وتعدد مستويات اللغة، فهي مرتبطة دائما بتحليل الأنساق الإيديولوجية، ولا تحمل لغة واحدة بل تحتوي عدّة لغات، ولا فائدة لنا من الدراسة التي تنظر إلى الرواية على أنها صوت الكاتب.

اتضح لنا في هذا الفصل الجهود والعوامل المؤسسة في تشكل النقد السوسيونصي، بدءا بالمآزق التي وقع فيها كل من المنهجين لاجتماعي باعتباره منهجا تاريخيا سياقيا، يربط الأدب بالمجتمع، والمنتج للأعمال الأدبية، والمنهج البنيوي باعتباره منهجا نسقيا يهتم بدراسة البنية الداخلية للنص، اعتمادا على عناصره والعلاقات الكامنة بينهما، كما اتضح لنا أن البنيوية التكوينية أسست للسوسيونصية، انطلاقا من فلسفتين مثالية التي تعد إحدى الأسس النظرية التي انطلقت منها البنيوية

[39] _علي سحنين: سوسيولجيا النص الروائي في النقد العربي، ص200.

التكوينية في تطور نتائجها الفكري، والفلسفة الماركسية التي قامت على نظرية الانعكاس انطلاقا من مسلمة مفادهاّ أسبقية المادة على الفكر، إلى جانب مفاهيم إجرائية مهدت لنا الطريق إلى دراسة السوسيونصية، ولا يتوقف تأسيس السوسيونصية على البنيوية التكوينية؛ بل على إسهامات **"ميخائيل باختين"** في النقد السوسيونصي تمثلت في تحليل العلاقة بين اللغة والواقع الاقتصادي والاجتماعي، إلى جانب تعدد الأصوات اللغوية في الرواية ظهر عنده ما يسمى بالحوارية الذي يقوم على أساس مبدأ الحياد الكلي للكاتب، بالتالي فإن النقد السوسيونصي لم يقم من العدم، بل كانت له خلفيات معرفية تاريخية عملت على الجمع بين أكثر من منهج نصي وسوسيولوجي.

الفصل الثاني

تَلَقي النَّقد السُّوسيونصِّي في النَّقد العربِي

المبحث الأول: الجهود التُّرجُميَّة.

المبحث الثاني: الجهود النَّظَريَّة السُّوسيونصِّية العربية.

المبحث الثالث: الجهود التَطبيقيَّة السُّوسيونصِّية العربية.

تمهيد:

يعد هذا الفصل ركيزة أساسية في الإجابة على الإشكالية الرئيسية المطروحة في المقدمة، والتي تحاول البحث في واقع النقد السوسيونصي العربي، وللإحاطة بهذا الواقع لا بد من الوقوف على كيفية تلقي السوسيونصية في النقد العربي المعاصر.

وقد عثرنا على عدد من الدراسات والبحوث التي تندرج في هذا الإطار، وإن اختلفت اهتماماتها واتجاهاتها، ولذلك عملنا على تصنيفها؛ لأنها ليست متشابهة، فهناك الترجمات، وهناك أيضا الأعمال النظرية التي حاولت فهم أصول وطرائق اشتغال السوسيونصية على النصوص الأدبية والنقدية، أما الجهود الثالثة فقد حاولت تطبيق آليات هذا المنهج من مدونات وخاصة السردية منها على الرواية والقصة.

كما سنعمل في الجانب النظري على تبيان ما إن كانت هذه الجهود مجرد إعادة للأفكار الغربية أم جاءت لنا بالشيء الجديد، أما في ما يخص الجانب التطبيقي فإننا نجد أن النقاد العرب قد اشتركوا في توظيف المنهج السوسيونصي إلاّ أنهم، اختلفوا في طريقة تطبيقه على المدونات والنصوص.

تأسس هذا الفصل على جملة من الإشكالات والتي كانت منطلقا في معرفة كيفية تلقي النقد العربي للسوسيونصية، ومن هنا يمكن التساؤل عن طبيعة الجهود العربية في مجال السوسيونصية، فهل هي مجرد نقل أم أنها استطاعت أن تقدم إسهامات في هذا المجال؟ أين تركزت الجهود النقدية العربية في الدراسات السوسيونصية خاصة في ظل التصنيف الذي توصلنا إليه (ترجمة – تنظير –تطبيق) وهذه الأعمال النقدية في مجال السوسيونصية هل أفردها أصحابها لتنظير، وأخرى لتطبيق أم مزجوا بينهما؟

المبحث الأول: الجهود الترجمية:

تعد الترجمة همزة وصل بين الشعوب والثقافات، وبين الآداب والفنون، وتؤدي دورا مهما في هذا الخصوص، فمن الواضح أن الناقد العربي حينما يتلقى عن الغرب أو العكس حينما يتفتح النقد الغربي، فإن ذلك يكون بالترجمة، ومن هنا ندرك أهميتها.

فعملية انتقال النقد السوسيونصي إلى النقد العربي تتم عن طريق الترجمة، وحاولنا أن عددا من المدونات، وقد عثرنا على مجموعة من الكتب المترجمة ككتابي "النص والمجتمع"، و"النقد الاجتماعي" **"لبيير زيما"**.

وقد ركزنا على مقدمات المترجمين، فالمترجم يذكر الأسباب والأهداف، أي الأسباب التي جعلته يترجم المرجع، وفي قراءتنا لكتاب "النص والمجتمع" وجدنا **"أنطوان أبو زيد"**، وقد راجع الترجمة **"موريس أبو ناظر"**، وذكر المترجم أن النقد انصرف إلى مجال الألسنية واللسانية وتأثر بمناهجها، وعلى هذا الأساس ركز على البنية وأهمل السياق الذي تنتمي إليه هذه البنية، وهذا ما يؤكد على «امبريالية الألسنية»[1]، والمقصود بالامبريالية هنا؛ أي الهيمنة المطلقة للمنهج اللساني الحديث في مجال الدراسات الإنسانية ولاسيما النقد الأدبي، حيث أهمل السياق الذي يندرج فيه النص.

ومن هنا جاء هدف هذه الترجمة، الذي يحاول أن يعيد النقد للانفتاح على السياق الاجتماعي، ولقد تحقق ذلك الانفتاح في النقد وهذا ما « أفضى به علم اجتماع النص أو النقد السيميائي الأدبي، وهذان صارا على يديه خليطا فعالا وقادرا على استنطاق اللغة والأدب في شأن العنف

[1] –بيير زيما: النص والمجتمع – أفاق علم اجتماع النص –، تر: أنطوان أبو زيد، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط 01، 2013، ص 08.

الناجم عن تجريد الكلام من دلالته، أو في الوظيفة الاجتماعية للمتخيل، وفي اللهج الاجتماعي لفئات أو جماعات بذاتها، وفي الصلة بين علم النفس التحليلي وبين النقد الاجتماعي لأدب»[2] يوضح لنا المترجم على أن هناك توليفة بين منهجين "علم اجتماع النص" و "النقد السيميائي" عن طريق استنطاق اللغة والأدب وتجريد الكلام عن دلالته.

إن الترجمة تقدم لنا مثالا عن التداخل بين العلوم والميادين، كعلوم التربية وعلم النفس والاجتماع واللغة وغيرها، كما نجد أن علم الاجتماع اشترك مع الفلسفة وعلم اللغة من أجل الكشف عن الخبايا المدروسة في الأدب وعلاقاتها الاجتماعية[3]، إن الترجمة تهتم بتداخل العلوم مع بعضها البعض من أجل دراسة علاقة الأدب بالمجتمع والكشف عن خباياه.

إن "**زيما**" من خلال مؤلفه يحاول أن يوضح لنا كيفية المحافظة على معاني القيم الحقيقية في عصر ما بعد الحداثة وذلك من خلال المنهج الذي أرساه في تداخل النصوص وانفتاحها على العلوم الأخرى، وهذا ما أكد عليه هذا المترجم في محاولته انتصار منهج السوسيونصي، وأثار بذلك قضية مهمة تتعلق بانفتاح أو تداخل بين العلوم والميادين.

ومن خلال قراءتنا لترجمة كتاب "النقد الاجتماعي" "**لبيير زيما**" وجدنا المترجمة "**عايدة لطفي**" تذكر لنا في مقدمتها الأسباب التي جعلتها تترجم هذا المرجع، وقد راجع هذه الترجمة "**أمينة رشيد**" و"**سيد البحراوي**" نجد أن هذه الترجمة تذكر لنا حقيقة تراجع القيم التي اعتمدت عليها المناهج النقدية السياقية وخاصة الاجتماعية منها حيث تركز الاهتمام على النص كبنية جمالية مغلقة مكتفية

[2] _ بيير زيما: النص والمجتمع ، ص 08_09.

[3] - ينظر، المرجع نفسه، ص 09.

بذاتها « فالمتابع لحركة النقد الأدبي المعاصر في غرب أوروبا أن يكشف انهيار مجموعة القيم التي قامت عليها المناهج النقدية التي أعلت من شأنها الثقافة الأوروبية المعاصرة خلال نصف القرن الماضي، سواء كانت الشكلية أو النقد الجديد أو البنيوية أو السيميوطيقا، هذه القيم التي عمادها الإيمان بالنص الأدبي كبنية لغوية مغلقة يجب على الدارس أو الناقد الوصول إليها كحقيقة موضوعية مطلقة قائمة بذاتها منعزلة عن مبدعها أو سياقها الخارجي أو متلقيها »[4] يتضح لنا من خلال ما جاءت به المترجمة على أن المناهج النقدية قامت على مجموعة من القيم، التي ترى أن النص عبارة عن بنية لغوية مغلقة منعزلة عن سياقها الخارجي، وأهملت السياق الاجتماعي أو البنية الاجتماعية المؤطرة للنص، ولذلك حاولت المترجمة الإشادة والتنويه بجهود **"بيير زيما"** الذي تفطن لذلك الإغفال أو لعدم الاهتداء للتركيب المنهجي بين ما هو نصي وما هو إطار لذلك النسق (المجتمع).

كما نجد أن هذه المترجمة تذكر لنا ما قدمه لنا **"بيير زيما"** من خلال كتابه "النقد الاجتماعي" وهو إعطاء أهمية كبيرة للنص، وتقديم مفهوم مغاير له «لا باعتباره بنية لغوية ينبغي البحث عن تجريدها المثالي، وإنما ككيان ملموس وحي يعيش حياته عبر قوانينه الخاصة. ولكن يحمل في هذه القوانين خصائص الحياة الاجتماعية التي يعيش في إطارها ويبدع ويتلقى »[5]، إن الإنجاز المهم الذي حققه **"زيما"** من خلال تقديمه لمفهوم مغاير للنص على أنه بنية مستقلة بذاتها منفتحة عن المجتمع، يعيش حياته عبر قوانين الخاصة، التي يبدع من خلالها، وبذلك يسمي منهجه بعلم اجتماع النص الأدبي.

[4] – بيير زيما: النقد الاجتماعي، ص 06.

[5] – المرجع نفسه، ص 08.

كما استفاد **"زيما"** من خلال منجزه على مناهج أخرى «كالمنهج السيميوطيقي ومن البنيوية ومن التحليل النفسي ومن نظريات القراءة »[6]، برغم من رفضه للأسس الفلسفية لنظريات القراءة، إلا أنه اعتمد على مجموعة من المناهج في تحليل النص من خلال إبراز إمكانيات القراءة الموجودة داخله وعلاقتها مع المتلقي.

ترى المترجمة أن **"بيير زيما"** سعى في منهجه علم اجتماع النص الأدبي إلى محاولة جديدة فيما قدمه من انجازات ومفاهيم أساسية في هذا الميدان، وذلك من خلال ما قدمه من نماذج تطبيقية بالأخص الرواية، كما ذهب **"زيما"** إلى قضية مهمة « ألا وهي قضية التخصيصية أو التجزيئية التي يسعى إليها العلم الوضعي في الغرب منذ فترة طويلة، والتي تصل في حالة الدراسة الأدبية _ إلى إقامة الحدود والحواجز بين علم مثل علم اجتماع الأدب (كما هو الحال لدى الامبريقيين مثلا) والأسلوبية (أو علم الأسلوبية كما يحب البعض أن يسميه) والنقد الأدبي والسميوطيقا _ الخ»[7] اعتمد **"زيما"** في علم اجتماع النص على قضية مهمة وهي التخصيصة، أو ما تعرف بالتجزيئية وهي الاختصاص بجزء أو جانب من الدراسة بعيدا عن التعميم، فهي تسعى إلى دراسة كل علم بمعزل عن الآخر، من خلال إقامة حدود وحواجز بين كل علم.

كانت انطلاقة **"زيما"** في النقد الأدبي من خلال تحليل الخطاب اللغوي أو اللهجات الجماعية في النص باعتبارها بنى تحمل الخصائص التاريخية التي ينتمي إليها، من أجل الوصول إلى كشف النص والمجتمع في نفس الوقت، وقد كانت جهود **"زيما"** من خلال تطبيقات على الرواية إلى جانب «إنجاز

[6] – بيير زيما: النقد الاجتماعي، ص 08.

[7] – المرجع نفسه، ص 08-09.

"**ميخائيل باختين**" وغيره من منظري الاتجاه الهام الذي يبحث عن العلاقات الاجتماعية في داخل البنى النصية، باعتبار أن العلاقة بين المجتمع والنص، ليست علاقة انفصال أو تأثير وتأثر وإنما هي علاقة كمون بصفة أساسية »[8]، كانت جهود "**زيما**" مبنية على انجازات "**ميخائيل باختين**" وغيره من المشتغلين فيه هذا المجال، وذلك للكشف عن العلاقات الموجودة داخل البنى النصية، وكذلك الكشف عن علاقة المجتمع بالنص باعتباره علاقة ثابتة ليست متغيرة.

أشارت المترجمة أن ما جاء به "**بيير زيما**" في منهجه "علم اجتماع النص الأدبي" هو تركيزه على اللهجات الجماعية ودراستها دراسة معمقة، كما ركز في الجانب التطبيقي على دراسة الرواية من أجل الوصول إلى الوضع الاجتماعي، ووعي المؤلف الروائي من خلال هذه اللهجات، كما أغفل على جوانب أخرى في النص الروائي، كالزمان والمكان والحدث والشخصيات، فهذه الجوانب لم تكن مهمة، له بقدر اهتمامه بزاوية أخرى للنقد العربي المعاصر ألا وهي منهج هذه الدراسة وهذا ما حاولت أن تصل إليه المترجمة "**عايدة لطفي**"، من خلال ترجمتها لهذا الكتاب، على أن النموذج الذي جاء به "**زيما**" "علم اجتماع النص الأدبي" باعتباره منهج نقدي واعي يمكن الأخذ به في دراسة النصوص.

نستخلص من خلال دراستنا لترجمة كتابي "**بيير زيما**" أن النقد السوسيونصي العربي قد عانى من قلة الترجمات، وهذا دليل على عدم التقبل والاهتمام الكبير بالنقد السوسيونصي من قبل النقاد العرب، هذا إذا ما قيس بمناهج أخرى على غرار المنهج البنيوي.

[8]- بيير زيما: النقد الاجتماعي، ص 09.

المبحث الثاني: الجهود النظرية السوسيونصية العربية :

نقصد بالجهود النظرية الكتابات النقدية العربية في مجال السوسيونصية، والتي ركزت على الدراسة النظرية للمنهج السوسيونصي، حيث عملت على التعريف بهذا المنهج،وشرح الأسس التي يقوم عليها، والإشارة إلى أعلامه، وبشكل عام كل ما يرتبط بهذا المنهج بعيدا على تطبيقه على نص وحاولنا مع عدد من المؤلفات في هذا الخصوص، وعثرنا على "النقد الروائي والايديولوجيا" **"لحميد لحميداني"**، وانفتاح النص الروائي **"لسعيد يقطين"** بالإضافة إلى كتاب "من أجل تحليل سوسيوبنائي للرواية"، **"حميد لحميداني"**، وما لحظناه على هذه المراجع أنها تنقسم إلى جزأين جزء نظري، وجزء تطبيقي، وفي هذا المبحث سنركز على الجانب النظري، أما التطبيق سنتركه للمبحث الثالث من هذا الفصل، ومن هنا نطرح السؤال الأتي: هل ارتقت الجهود السوسيونصية العربية إلى درجة التنظير، أو إلى نظرية جديدة أو مقترحات جديدة في مجال السوسيونصية ؟

لا بد أن نميز بين الجهود النظرية والجهود التنظيرية، فالجهود التنظيرية أصعب من الجهود النظرية؛ لأن الجهد النظري قد يكتفي بإعادة ما هو موجود أصلا، أو نقل لمعرفة نظرية، في حين أن خطاب التنظير هو عبارة عن « رغبات تعبر عن نوازع البحث والتجديد ولو بإعادة النظر في النقد السابق لإنارة الطريق أمام النقد الممكن»[9]، نفهم من هذا أن خطاب التنظير يعيد النظر في النظريات السائدة بحيث يعترض عليها أو يضيف إليها أو ينفيها بينما الجهود النظرية هي إعادة ما هو موجود أصلا فنقوم بشرحه أو تفسيره دون نقد له.

[9]_ محمد الدغمومي: نقد النقد _وتنظير النقد العربي المعاصر–، منشورات كلية الأداب، الرباط، ط 01، سنة 1999، ص 80-81.

ولهذا الغرض سنعمل على تبيان الجهود النظرية لكي نرى بعدها ما إن كانت جهودا تنظيرية فنقوم بإعادة النظر في «هذه المادة النظرية يمكن اعتبارها نقطة التقاء جميع المتون السابقة مع متن أخر نصفه بأنه من التنظير »[10]، من خلال هذا اخترنا في هذا المبحث الجهود النظرية لكي نرى بعدها ما إن كانت جهودا تنظيرية تعيد النظر في النقد السابق أم هي جهود نظرية تشرح وتفسر ما هو موجود.

1/ سعيد يقطين ومسعى الوساطة:

يقوم مسعى التوسط على أن يتولى الناقد العربي مهمة همزة الوصل بين النقد العربي والنقد الغربي، وتكون مزيته هنا في نقل المعرفة من أصولها الغربية إلى تربة عربية مغايرة ولا يختلف الناقد هنا كثيرا عن الجهود الترجمية المشار إليها سابقا فكلاهما يحول المعرفة من ثقافة إلى أخرى إلا أن الناقد أو مسعى الوساطة يكون في الشروح والتعليقات التي يقدمها الناقد الوسيط على هامش المفاهيم النقدية المنقولة وهذا ما لاحظناه على مسعى "سعيد يقطين" وإن كان هذا الكتاب لا يدخل ضمن مشروع، تحليل الخطاب الروائي يقوم على التمييز بين مفهومي النص والخطاب.

وقد شكلت الكتابات النظرية والدراسات التطبيقية التي أنجزها **"سعيد يقطين"** محطة هامة في النقد العربي، وقد كانت لدراسته النقدية أثرا كبيرا في النقد الروائي العربي، وسنركز في معالجتنا على كتاب **"انفتاح النص الروائي"** الذي سعى من خلاله إلى توضيح مفهوم البنيات السوسيونصية في علاقتها بالسياق الثقافي ولاجتماعي، ويؤطر كلامه عن سوسيولوجيا النص الأدبي بالإعتماد على جهود **"بيير زيما"** وتصوراته في هذه الدراسة.

[10] _ محمد الدغمومي: نقد النقد _وتنظير النقد العربي المعاصر، ص 80_81.

لقد استفاد "**سعيد يقطين**" كثيرا من مقترحات "**بيير زيما**" في هذا النطاق من خلال حديثه عن علاقة النص بالمجتمع، في إطار سوسيولوجيا النص على مستواها النظري، وقد أشار إلى كيفية وضع النص في إطاره السوسيونصي ذلك من خلال تحليل البنية الاجتماعية داخل بنية النص.

يسعى أيضا إلى تحليل البنية الاجتماعية داخل بنية النص وتوضيح مفهوم البنيات السوسيونصية وعلاقتها بالسياق الثقافي والاجتماعي ويرى أن «كل نص كيفما كان نوعه يتم إنتاجه ضمن بنية اجتماعية محددة، وتكمن إنتاجيته في كون التفاعل يحصل معه في إطار البنية نفسها، وبانعدام هذا التفاعل، تنعدم إنتاجية النص، لذلك نجد العديد من السوسيولسانيين وهم يتحدثون عن النص أو الخطاب كيف يحددونه وهو قيد الاستعمال؛ لأنه في غياب هذا الاستعمال يغيب التواصل أو التفاعل معه»[11]؛ أي أن النص عند "**يقطين**" يكون إنتاجه عن طريق تفاعله مع بنية اجتماعية محددة، كما تحدث السوسيولسانيين عن النص في استعماله عن طريق تفاعله وتواصله مع المجتمع عن طريق اللغة.

ونجده أيضا تحدث عن الكاتب العربي الذي ينتج نصوصه ضمن بنية نصية لغوية عربية «فالكاتب وهو ينتج نصه ضمن لغة القوم الكتابية، وضمن قواعدها التي انطلاقا منها ينتجون خطاباتهم ونصوصهم، بل وينتج أيضا نصوصه ضمن القواعد الكتابية التي يلتزم المجتمع بها»[12] فالكاتب حسب "**سعيد يقطين**" ينتج نصوصه ضمن بنية مفتوحة على بنيات نصية داخل المجتمع العربي، تكون هذه النصوص مبنية على قواعد كتابية يلتزم بها المجتمع.

[11] – سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي، ص 134.

[12] _ المرجع نفسه، ص134.

وقد أشار الناقد إلى دراسة **"بيير زيما"** والتي سعى من خلالها إلى توضيح مفهوم البنيات السوسيونصية وعلاقتها بالسياق الثقافي ولاجتماعي ويؤطر كلامه ضمن سوسيولوجيا النص الأدبي من أجل التأطير بين الماركسيين والبنيويين، والاستفادة من بعضهما من أجل تطوير سوسيولوجيا الأدب وجعلها كعلم للنص ومن أجل تحقيق هذا التطور يجب تجاوز السوسيولوجيا التقليدية التي تهتم بالمضمون والتي كانت مع **"لوكاتش" و"غولدمان"** مع إلغاء جميع التصورات الأحادية، وكذلك النصية واللسانية[13]، إن دراسة **"زيما"** لسوسيولوجيا النص الأدبي كانت من بنية النص إلى بنية المجتمع عن طريق تجاوز السوسيولوجيا التقليدية والتصورات الأحادية فهو يرى أنه يمكن أن تتطور سوسيولوجيا الأدب لتصبح كعلم للنص.

كما أشار **"يقطين"** في دراسته إلى جهود الشكلانيين الروس وخاصة **"تينيانوف"** الذي يتحدث لنا عن العلاقة الموجودة بين النص والمجتمع «يذهب **"تينيانوف"** إلى أن العلاقة بين الأدب (النص) والمجتمع، لا يمكن العثور عليها إلاّ من خلال اللغة، إن للأدب وظيفة لفظية في علاقتها بالحياة الاجتماعية، وإن المتوالية الأدبية أو النظام الأدبي هو الذي نرجع إليه مقولة "توجيه" الوظيفة، ولا يمكننا أن نرجع هذا إلى عمل أدبي مفرد»[14]، كما « يذهب **"يان موكاروفسكي"** إلى وضع دور السياق الاجتماعي المحايث لتطور الأدب في الاعتبار، من خلال تأكيده على أن التطور الأدبي يصعب فهمه دون استخراج البنيات الاجتماعية»[15]، ركز **"زيما"** على المظهر اللساني انطلاقا من التصورين اللذين جاء بهما كل من **"تينيانوف"** الذي يبحث عن العلاقة الموجودة بين النص والمجتمع

[13] _ ينظر، سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي، ص135.
[14] _ المرجع نفسه، ص 135.
[15] _ المرجع نفسه، ص136.

والتي تكون عن طريق اللغة، ووظيفة الأدب في علاقته مع الحياة الاجتماعية في تطور الأدب، ويؤكد على أن هذا التطور يكون فهمه صعب دون استخراج البنيات الاجتماعية «بناء على هذا التصور الذي يذهب فيه **"زيما"** من المظهر اللساني للنص في علاقته بنصوص أخرى إلى اعتبار التناص مفهوما سوسيو – لسانيا تتجلى من خلاله المظاهر الاجتماعية داخل النص، ومحاولته تفسير هذه العلاقة بين البنية النصية والبنية الاجتماعية ننطلق في تحديدنا وفهمنا لعلاقة النص بالمجتمع في نطاق مالا سميناه البنية السوسيونصية»[16]، وانطلاقا من هذين التصورين جعل **"زيما"** المظهر اللساني كوسيط بين النص والمجتمع، وهمزة وصل بينهما، كما نجد أن "يقطين" قد أشار أيضا إلى دراسة **"ميخائيل باختين"** لرواية وذلك من خلال العلاقة الحوارية، انطلاقا من قراءاته ل**"رابلي"**و**"دوستيوفيسكي"** وأن الموضوع الأساسي لخطاب الكاتب، هو الذي يعبر عن خطاب البطل حول الواقع من خلال تصور العالم في الرواية.

كما يرى **"يقطين"** أن النص يكون إنتاجه داخل بنية نصية شاملة تظهر عليها تحولات من خلال تطورها التاريخي فالنص عنده يتكون تاريخيا داخل بنية نصية تطرأ عليها تحولات هذه البنية، دون أن تنجح في تحويلها أو تغييرها، وتتلاشى مع الزمن لعدم قدرتها على الوصول إلى تغيير أصل البنية [17]، أي أن النص عند **"يقطين"** عبارة عن بنية تتطور عبر التاريخ، وتطرأ عليها تحولات منها ما ينجح في تغييرها ومنها ما يختفي مع الزمن لعدم استطاعته على الوصول إلى البنية وتغييرها.

[16] _ سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي، ص 137.

[17] _ المرجع نفسه، ص 137.

من خلال تتبعنا للمسار النقدي "**لسعيد يقطين**" في تحليله للنص الروائي نجده قد قدم إضافة منهجية في مجال السوسيو نصية، وذلك بتطبيق هذا المنهج على النصوص الروائية، إلى جانب الجهود النظرية التي قدمها في هذا المجال من خلال التركيز على النقد الروائي الجديد، في مزج النظرية بالتطبيق استناد في ذلك إلى القراءة الواعية للمرجع النقدي التي تنطلق أصوله من الغرب.

2/ مسعى التنظير لدى حميد لحميداني:

إن"**حميد لحميداني**" أقرب إلى التنظير؛ لأنه أعاد فهم السوسيونصية بحيث لم يلتزم حرفيا بما جاء به "**زيما**" بل طعمه بمفاهيم من البنيوية التكوينية، وقد سعى للتوفيق بين عدة نظريات نقدية من أجل الوصول إلى تركيبة منهجية جديدة، واعتمد "**لحميداني**" في طرح تصوراته النظرية في مجال السوسيونصية على جملة من المؤلفات نذكر منها كتاب "من أجل تحليل سوسيوبنائي للرواية" و"الرواية المغاربية ورؤية الواقع الاجتماعي " وأهمها كتاب "النقد الروائي والأيديولوجيا" الذي اعتمدناه في موضوع بحثنا، والذي طور من خلاله الأدوات النقدية التي تستوجب دراسة المنهج السوسيولوجي، وقد تجلى هذا المسعى في المظاهر الآتية:

أ_ محاولة إثراء السوسيونصية:

إن "**حميد لحميداني**" في منجزه النقدي يعيد النظر ويحاول أن يطعم السوسيونصية من البنيوية التكوينية، وانطلق في مشروعه المتكامل حول المنهج السوسيونصي من أطروحتين، الأولى البنيوية التكوينية، والثانية هي « إنجازه رؤية منهجية جديدة تستند إلى التركيب بين منظورين تراهما متكاملين من حيث التطابق النظري، على الأقل ضمن مسار واحد من مساراتهما، هما النقد البنيوي والنقد

البنيوي التكويني. ويكتمل هذا التصور عبر استلهام نظرية سوسيولوجيا النص كما طرحها "**ميخائيل باختين**" في البداية، ثم "**بيير زيما**" في مرحلة لاحقة »[18]، "**لحميداني**" في محاولته التأسيس لنظرية جديدة تطرق إلى عدة نماذج نقدية، انطلاقا من مفاهيم البنيوية التكوينية والنقد البنيوي إلى جانب تصورات "**بيير زيما**" وجهود "**ميخائيل باختين**" في سوسيولوجيا النص.

يأخذ "**لحميداني**" في دراسته من البنيوية التكوينية مفاهيمها الإجرائية مركزا على الفهم والتفسير الذين يبحثان عن البنى النصية والمجتمعية في دراسة النص ومحاولة الكشف عن البنية الدالة، ويعترض أيضا "**لحميداني**" عن البنيوية التكوينية وذلك كون الجانب النصي ناقص فيها « وهو متعلق بالابتعاد قدر الإمكان عن مصطلح البنيوية التكوينية، نظرا لأن مفهوم البنية فيه ليس له قيمة كبيرة، كما أن المنهج لم يقدم رصيدا معرفيا لحقيقة النص الأدبي من الداخل »[19] من خلال منهجية "**لحميداني**" في دراسة الرواية العربية يحاول الابتعاد عن مصطلح البنيوية التكوينية كونها لم تعطي أهمية كبيرة للبنية، وأهملت حقيقة النص الأدبي من الداخل.

ب_ إعادة النظر في المصطلح:

لقد كان "**لحميد لحميداني**" قوة الاقتراح المصطلحي بحيث أنه لم يأخذ مصطلح "سوسيولوجيا النص" كما هو من عند "**بيير زيما**" بل إنه يميل إلى الحياد الكلي للكاتب، ويقترح مصطلحا جديدا "السوسيوبنائية" وهو بذلك يحمل وعيا منهجيا في تفاعله النظري مع النقد السوسيونصي وهو يبرز

[18] _ عمر عيلان: النقد الجديد والنص الروائي العربي – دراسة مقارنة للنقد الجديد في فرنسا وأثره في النقد الروائي العربي من خلال بعض نماذجه، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه الدولة في الأدب الحديث، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري قسنطينة، 2005_2006، ص 409.

[19] _ المرجع نفسه، ص 409 _ 410.

قدرته على نحت مصطلحات جديدة تقترب في ترجمتها من المصطلح الأصل، ويظهر أيضا كما أشرنا في محاولته اعتماد تركيب منهجي يستند إلى السوسيونصية لكنه لا يطابقها، وهذا ما يظهر في محاولته للاستفادة من البنيوية التكوينية «وضمن هذا التوجه يكون التحليل السوسيوبنائي تركيبا منهجيا، يستفيد من المناهج السوسيولوجية في ربط القيم الفنية بالحركة المجتمعية، كما يستفيد أيضا من تقنيات التحليل السردي للمنهج البنيوي، وليس اقتراحا منهجيا جديدا، لأن أصعب مايدعيه منظرو النقد هو صنع نظرية أو منهج »[20]، قدم لنا "**لحميداني**" تركيبا منهجيا في تحليله السوسيوبنائي وذلك استفادة من مناهج سوسيولوجية إلى جانب تقنيات التحليل السردي، فهو يرى أن التحليل السوسيوبنائي ليس اقتراحا منهجيا جديدا أن الصعوبة تكمن في وضع نظرية أو منهج جديد.

ألف الباحث كتاب "من أجل تحليل سوسيوبنائي للرواية _رواية المعلم علي_"، وهو دراسة موجزة عمل فيه الناقد على تطبيق مشروعه في التحليل السوسيوبنائي على الرواية المذكورة، وتضمن أيضا جزء نظريا لكنه لا يصل في طوله إلى الأقسام النظرية في الدراسات السابقة التي أشرنا إليها، ومع ذلك سنحاول أن نقف عند أهم الأطروحات والنظريات أو الجوانب التي أبدى فيها الكاتب وعيا نظريا أو نقديا في التعاطي مع المناهج الغربية الوافدة، ويقدم لنا "**حميد لحميداني**" في هذا الكتاب مفهوم عن سوسيولوجيا الرواية على أنها «المنطلق النقدي الذي يدرس الفن الروائي من وجهة نظر اجتماعية إذا تنطلق كل سوسيولوجي اهتام بالأدب بشكل عام أو بالرواية خاصة من الفكرة القائلة بأن الأدب ظاهرة فكرية اجتماعية، لذلك يمكن أن يخضع هو نفسه لتطبيق المفاهيم

[20] _ عمر عيلان: النقد الجديد والنص الروائي العربي، ص410.

والنظريات الاجتماعية »[21]، يرى "**لحميداني**" على أن سوسيولوجيا الرواية هي منهج نقدي، ينطلق في دراسة الفن الروائي من المجتمع، وذلك من خلال ارتباط الأدب بالقضايا الاجتماعية، باعتباره ظاهرة فكرية اجتماعية وهنا لا يفرق "**لحميداني**" بين سوسيولوجيا الأدب وسوسيولوجيا الرواية، كما يشير إلى انفتاح الرواية على جميع التجارب، والقضايا الاجتماعية من خلال احتوائها على الأجناس الأدبية، وتقنيات فنية أخرى (كالشعر، المسرح، القصة القصيرة) إلى جانب مظاهر تعبير أخرى في الوسط الاجتماعي.

كانت بدايات سوسيولوجيا الرواية حسب "**لحميداني**" عبارة عن مجرد مشروع محتمل تحقيقه وذلك « لأنها لم تأخذ طريقها إلى الوجود الفعلي إلا في فترة متأخرة من النص الأول للقرن العشرين، في الوقت الذي كانت فيه النظريات الاجتماعية قد حققت انقلابا حاسما في فهم الظاهرة الاجتماعية، وخاصة مع ظهور الفكر الجدلي» [22]، كان ظهور سوسيولوجيا الرواية متأخرا، مع إمكانية نجاح هذا المشروع وتحقيق غايته، وذلك لأسبقية ظهور الفكر الجدلي إلى جانب النجاحات التي حققتها النظريات الاجتماعية.

لقد استفاد "**لحميداني**" في منهجيته السوسيوبنائية من البنيوية التكوينية التي خطت خطوة حاسمة نحو بناء سوسيولوجيا الرواية، وذلك من خلال تأكيدها على ربط الإنتاج الروائي بالبنيات الاجتماعية الموجودة في الواقع «كما أنها تتمثل في جانبها المتعلق بمقترح الفهم الغولدماني الأخذ بجماليات التحليل الروائي عن "**باختين**"، خاصة ما تعلق منها بمفهوم الحوارية، وتعدد الأصوات

[21]_حميد لحميداني: من أجل تحليل سوسيوبنائي للرواية، رواية المعلم علي نموذجا، منشورات الجامعة، 1984، ص05.
[22]_المرجع نفسه، ص07.

الروائية وهذا دون السقوط في السكونية والرتابة التي تفرضها الدراسة المحايدة التي لا تعطي أهمية للدور الذي تؤديه رؤية العالم داخل النص وامتدادها في البيئة الاجتماعية »[23]، استفادت السوسيوبنائية من البنيوية التكوينية معتمدة على الفهم الغولدماني وجهود **"باختين"** في جماليات تحليله الروائي المتمثلة في الحوارية، إلى جانب تعدد الأصوات الروائية مبتعدة عن الدراسة المحايدة التي يكون فيها الكاتب حياديا، ببعيد النظر عن حقيقة النص الروائي.

يوضح لنا الناقد أهمية الاتجاه البنيوي في ظهور سوسيولوجيا النص الروائي، من خلال الكشف عن البنى الداخلية للنص القصصي كما نجد أصحاب الاتجاه البنيوي من خلال توجههم لدراسة البنى الشكلية والدلالية للنص الروائي لا يعطون أهمية لدلالة النص، فهم يعتبرونها مهمة عالم الاجتماع أو عالم النفس، فيتعاملون مع النص الروائي سكونيا بمعنى أن هذا النص لا تكون له علاقة بصاحبه أو المجتمع الذي نشأ فيه[24]، يرى أصحاب الاتجاه البنيوي بضرورة دراسة النص بعيدا عن علاقته بصاحبه وعن الوسط الذي نشأ فيه، ويعتبرون أن دلالة النص في العصر الذي وجد فيه من اختصاص عالم الاجتماع، وخاصة عالم النفس من خلال ربط العمل الروائي بصاحبه؛ لأن دراستهم للنص الروائي تكمن في البنى الشكلية والدلالية.

كان تميز سوسيولوجيا النص عن باقي السوسيولوجيات من خلال دراستها للأبحاث اللسانية المتصلة بالأدب باعتباره اتجاه جديد «يجعل النص الأدبي، ومنه النص الروائي، موطنا خصبا لتصارع الأصوات الإيديولوجية، ولكنه يميل إلى نفي أن يكون النص كله (باعتباره من إبداع شخص واحد)

[23]_عمر عيلان: النقد الجديد والنص الروائي العربي، ص411.

[24]_ ينظر، حميد لحميداني: من أجل تحليل سوسيوبنائي للرواية، ص15_16.

عملا مرتبطا بتوجيه إيديولوجي منا »[25]، إن هذا الاتجاه النقدي الجديد يرى بضرورة دراسة النص الأدبي مع إيديولوجيات أخرى وعدم نفيه بتوجه إيديولوجي واحد، وذلك من أجل الوصول إلى فهم عميق لطبيعة النص الأدبي وخاصة الروائي.

نلاحظ من خلال دراستنا لنماذج من الأعمال للنقاد العربيين، نجد أن "**حميد لحميداني**" من خلال كتابه "النقد الروائي والايديولوجيا" وكتابه "من أجل تحليل سوسيوبنائي للرواية"، تفرد على "**سعيد يقطين**" لأنه كان أقرب إلى التنظير منه إلى الجهود النظرية في منجزه النقدي، وقد أعاد النظر بحيث أنه لم يلتزم بما جاء به النقاد الغربيون، بل حاول أن يأتي بشيء مغاير، كما كانت له قوة الاقتراح المصطلحي، فلم يلتزم بمصطلح "السوسيونصية" بل اقترح مصطلحا جديدا سماه بالسوسيوبنائية.

أما "**سعيد يقطين**" من خلال كتابه "انفتاح النص الروائي" نلاحظ أنه قد قدم لنا إضافة منهجية في مجال السوسيونصية وهذا لتركيزه على النقد الروائي الجديد، في مزج النظرية بالتطبيق وقد استند في ذلك إلى القراءة التي انطلقت من الغرب، فكلا الناقدين العربيين حاولا إضافة نظرية جديدة في مجال السوسيونصية.

المبحث الثالث: الجهود التطبيقية السوسيونصية العربية:

إن الجهود التطبيقية هي تلك الكتابات النقدية العربية في الدراسات السوسيونصية، التي ركزت على تطبيق المنهج السوسيونصي على النصوص الأدبية والنقدية بعيدا عن جانبه النظري، وكيفية اشتراك النقاد العرب في توظيف هذا المنهج، ومدى اختلافهم في طريقة تطبيقه على المدونات

[25]_ حميد لحميداني: من أجل تحليل سوسيوبنائي للرواية، ص18.

والنصوص، وقد اعتمدنا في ذلك على منهجية محددة تقوم على تقسيم السوسيونصية إلى جانبين أساسين هما تحليل نصي (بنيوي) من خلال المقارنة بين النقاد العرب في تطبيق المنهج السوسيونصي على الرواية، اعتماد على مكونات الخطاب الروائي، وجانب سوسيولوجي يقوم على دراسة الرواية في واقعها الاجتماعي وذلك بربطها بالمجتمع، وعثرنا على عدد من المؤلفات في هذا الخصوص، بدأ بكتاب "**حميد لحميداني**" "من أجل تحليل سوسيوبنائي للرواية"، وكتاب "**سعيد يقطين**" "انفتاح النص الروائي" وسنركز في هذا المبحث على الجانب التطبيقي بدءا بالتحليل البنيوي النصي ثم ننتقل إلى التحليل السوسيولوجي.

1/المقاربة النصية عند النقاد السوسيونصيين العرب:

سنفرد في هذا المبحث لتناول الجهود العربية في مجال السوسيونصية في جانبها النصي البنيوي، وابتدأنا بالجانب النصي لاعتبارات علمية منهجية تعود إلى طبيعة هذا المنهج، فالتحليل عنده يبدأ بالبنية الداخلية النصية، لينتقل بعدها إلى الجانب السوسيولوجي، وفي خصوص البنية النصية لن نجد تطابقا بين النقاد العرب في المستويات البنيوية النصية، فهناك المشترك، أي البنيات المشتركة نجد الرؤية السردية التي عولجت عند أكثر من ناقد في حين توجد عناصر أخرى تفرد بها ناقد عن آخر على غرار الشخصيات، الصوت، وفي قراءتنا للنماذج المذكورة سابقا وجدنا أن "**حميد لحميداني**" في كتابه "من أجل تحليل سوسيوبنائي للرواية" رواية "المعلم علي نموذجا" "**لعبد الكريم غلاب**" قد استعار مفاهيم البنيوية التكوينية في التحليل النصي، ويقابل في ذلك مرحلة الفهم، فهي المبحث الأول الذي يقدمه الباحث للدراسة التطبيقية، وركز فيه على مكونات الرواية بدءا بالرؤية.

أ_ الرؤية السردية:

تعد الرؤية السردية إحدى مكونات الخطاب الأساسية في العمل الروائي، والتي تؤدي دورا هاما في تحديد وضعية السارد وعلاقته بما يدور من أحداث داخل العمل الحكائي، وتتميز بمعرفة الراوي بكل شيء عن أبطاله، فهي عبارة عن معرفة متعلقة بتفاصيل الأحداث وما يدور في أذهان أبطال الرواية.

لقد تطرق كل من الناقدين "**حميد لحميداني**" في كتابه "من أجل تحليل سوسيوبنائي للرواية"في "رواية المعلم علي نموذجا"، "وانفتاح النص الروائي" "**لسعيد يقطين**" إلى تبني هذه الرؤية السردية وتوظيفها في التحليل النصي للرواية، لما لها دور مهم في الدراسة الروائية وفي هذا الصدد نجد موقف "**حميد لحميداني**" من رواية "المعلم علي" كان له أهمية كبيرة في تفسير الأحداث وإعطائها طابعا متميزا وبذلك نجد أحد النقاد الفرنسيين "**جان بويون**" **Gean poiullon** قد حصر لنا ثلاث رؤى أساسية في كتاب (الزمن والرواية) التي حددت أنماط الكتابة الروائية، بدءا بالرؤية من خلف (la vision par derriére) وتكون عادة في الروايات الكلاسيكية، وقد تميزت هذه الروايات بمعرفة الراوي بكل شيء عن أبطاله وتحكى بضمير غائب، في حيت أن الرؤية مع (la vision avec) فيها يكون التطابق بين الراوي والشخصية الرئيسية في الرواية باعتماد الضمير المتكلم، ويمكن أن يتحول الحكي فيها إلى ضمير غائب بدون أن يتغير انطباع القارئ حول كون الراوي هو الشخصية، أما الرؤية من الخارج (la vision de dohors) ففيها يتحول الراوي إلى ناقل للأصوات ويصف الحركة الخارجية

للأبطال وبذلك يكون الراوي جاهلا لدلالة الوقائع، وبهذا فالرواية لن يكون لها معنى [26]، نجد أن "**لحميداني**" في رواية المعلم علي قد اعتمد على رؤية واحدة وهي الرؤية من خلف، وذلك لمعرفتها التامة والمتعلقة بتفاصيل الأحداث، وكل ما يجري في أذهان أبطال الرواية، وما يوجد في أعماق نفوسهم، حيث يكون الراوي على علم كبير بالشخصيات المتواجدة في الرواية، ويتضح ذلك من خلال وجوده في كافة التفاصيل، ويعتمد في ذلك على ضمير الغائب في تحقيق هذه الرؤية، وتقديم للقارئ كل ما يحتاج إليه، وهي عكس الرؤية مع، والرؤية من الخارج، فالأولى هي تطابق الراوي مع الشخصية الرئيسية، وكان الراوي هو الشخصية ذاته؛ أي أنه هو صاحب الرواية، ويتحدث فيها بضمير متكلم، أما الثانية الرؤية من الخارج فيصف فيها الحركة الخارجية للأبطال فقط، فهي رؤية سطحية غير واضحة للكاتب لا يمكن الولوج إلى أعماقها، وبذلك تكون دلالتها مجهولة عن الراوي، ولن يكون لها معنى، وهكذا يتضح لنا في دراسة "**لحميداني**" لهذه الرواية على أن المعتمدة هي الرؤية من خلف باعتبارها الرؤية المهيمنة والمحورية في الرواية.

كما تطرق "**سعيد يقطين**" إلى الرؤية السردية في خمسة نماذج روائية مختلفة، باعتبارها رؤية نقدية تقوم على نقد الذات، فنجد رؤية "سعيد يقطين" في رواية "**الزيني بركات**" على أنها رؤية موضوعية عن الحدث التاريخي، تكون ضمن موقف نقدي موجهة نحو الغاية الكبرى وهي الهزيمة، فالكاتب يريد أن يقنعنا أن الهزيمة حتمية تاريخية،وهي نتاج العالم من خلال منظورات متعددة وبهذا لو قدم لنا الكاتب وجهة نظر أخلاقية عن الهزيمة لكان موقفه موقف الكاتب التقليدي [27]، من خلال دراسة

[26]_ينظر، حميد لحميداني: من أجل تحليل سوسيوبنائي للرواية، ص31_32.

[27]-ينظر، سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي، ص147.

"**يقطين**" لرواية "**الزيني بركات**" يرى أن الشخصية الرئيسية (الزيني) شخصية عادلة إلا أن الواقع عكس ذلك، فهي شخصية متسلطة وظالمة، لأن في بداية الرواية يعجب الناس بنزاهة "**الزيني بركات**" وصدقه وعدله، إلا أنه لا يمكن لأحد معرفة ما إن كان حبهم له صادق أم كانوا يتظاهرون بذلك خوفا منه، فرؤية "**يقطين**" هنا هي موضوعية تتضمن موقف نقدي.

أما عن الروايات الأربعة الأخرى فتحمل رؤية داخلية تقدم من خلال الذات المحورية، تقوم بدراستها من خلال تموضعها في محيطها «فهي رؤية ذاتية وداخلية للحدث والشخصية، وهي في ازدواجها هذا تعري الذات وتنتقدها وهي تنظر إلى عجزها، وفي الوقت نفسه تنتقد موضوعها، الواقع الذي تعيش فيه تاريخيا وسويولوجيا »[28]، يرى "**سعيد يقطين**" في دراسته لهذه الروايات الأربعة على هيمنة الرؤية الذاتية الداخلية، أو كما تعرف بالرؤية المحورية، فنجد في رواية " أنت منذ اليوم" التي يتحدث فيها عن خطاب الإمام عن العدالة والإسلام، وواقع الناس من الاستبداد والقمع وسب شعراء الحزب الإمبريالية، وفي دراسة الرواية "**الزمن الموحش**" التي تعتبر رواية صعبة الفهم ذات أبعاد تشاؤمية، تظهر فيه تفاصيل الحرب من خلال المذياع، أما رواية في "عودة الطائر إلى البحر" و"والوقائع التاريخية" وقد تضمنت الحرب والثورة من خلال حديثه عن أمجاد الجندي ومعاناة الفلسطيني، ومن هنا يتبين لنا من خلال تحليل "يقطين" للروايات الأربعة السابقة أنها روايات تاريخية ثورية، تضمنت أشكال القمع والاستبداد والتسلط، ورفض الهزيمة، على غرار الرواية الأولى "**الزيني بركات**" فتضمنت فيها الشخصية الرئيسية وجهين مختلفين، من جهة تظهر على أنها شخصية

[28]_ سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي، ص147.

عادلة، ومن جهة أخرى على أنها متسلطة، فرؤية "**يقطين**"هي رؤية داخلية موضوعية ناقدة للذات وللواقع، تقوم على أساس تاريخي، تحمل مضمونا واحدا هو رفض الهزيمة بكل أشكالها.

ب_ الشخصيات الروائية :

تعد الشخصيات الروائية من بين أهم المكونات الأساسية في الخطاب الروائي، لما لها دور مهم وأساسي في سير أحداث الرواية، تنقسم بذلك الشخصية إلى صنفين، منها ما هو أساسي باعتبارها الشخصية الرئيسية؛ أي البطل التي لا يمكن تغييرها، و هي شخصية تدور حولها أحداث الرواية، ومنها ما هو ثانوي تعرف بالشخصيات المساعدة و هي قابلة للتغيير وذلك لقصر دورها في الرواية.

وفي هذا الخصوص اختلف "**حميد لحميداني**" في تحليل الرواية عن "**سعيد يقطين**" وذلك في حديثه عن الشخصيات الروائية، وانطلق "**لحميداني**" في دراسته لرواية "المعلم علي" إلى اعتبار أن شخصية علي هي الشخصية المركزية، وذلك من خلال احتفاظ الأحداث في الرواية بهذه الشخصية من حيث المظهر، ومن أجل توجيه القارئ إلى الاعتقاد الدائم بأن شخصية علي هي المحورية والرئيسية في العمل الروائي، ووجه بذلك الراوي جميع عناصر الحدث إلى خدمة مسألة تطور الوعي عند علي، والراوي هنا يشد أنظار القارئ في القسم الأول من الرواية لاحتفاظه بهذه الشخصية، والاعتقاد بمحورية البطل علي، فالقارئ هنا يعتقد أن الراوي سيحتفظ بهذه الشخصية في القسم الثاني وجعلها مركز الأحداث من خلال التركيز على مستويي الوعي عند علي، ويميل إلى ربط هذه المسألة بمقوله "الفهم وعدم الفهم"، إلا أن الكاتب أدرج في هذا القسم تغييرا كبيرا في مجرى أحداث الرواية، وأدخل بذلك عناصر وشخصيات جديدة "**كالحياني**" التي سبق ذكرها في القسم الأول،

وشخصية "**الفقيه عبد العزيز**" وهي الشخصية الجديدة، فالرواية « تهتم بهذه العلاقة تدعو القارىء المتبصر إلى الاهتمام بقضية أساسية هي التي تشكل اللبنة الرئيسية في رؤية الكاتب، فعلي يبدو أمام الشخصيات الحاملة للوعي (الحياني، عبد العزيز) عاجزا عن إدراك وفهم أفكارهما، لذلك نراه يجسد الطرف الثاني من المقولة السابقة، وهو: عدم الفهم بينما تمثل الطرف الأول، وهو الفهم، الشخصيتان السابقتان »[29]، فدراسة الرواية بناءا على المقولة السابقة "الفهم و عدم الفهم" ستثبت أن الشخصية التي كانت مركزية وأساسية في القسم الأول لم تعد تحتل مركز الرواية، وذلك لإدراج شخصيات جديدة في القسم الثاني من الرواية، لأن شخصية "**علي**" أصبحت أمام شخصيات تحمل وعيا لا يمكن إدراكه وفهم أفكارهم، بهذا يبطل الفصل الثاني الانطباع الذي كونه الكاتب للقارئ من خلال شخصية "**علي**" في القسم الأول على أنها الشخصية المحورية في الرواية ككل.

يرى "**حميد لحميداني**" في تحليل لرواية "**المعلم علي**"على أن الشخصية الرئيسية "**علي**" التي كانت في القسم الأول قد تغيرت، وستحتل بذلك شخصية جديدة وهي شخصية "**الفقيه عبد العزيز**" المركز الأساسي في الرواية، لتصبح شخصية "**الحياني**" في المرتبة الثانية، وتتحول بذلك شخصية "**علي**" إلى بطل من الدرجة الثالثة، لأن وعي "**الحياني**" كان أسبق ظهورا من وعي "**علي**" وبهذا نجد أن القسم الثاني أحدث تغييرا في ترتيب الشخصيات وبناء الرواية، وذلك من خلال دراسة لمقولة "الفهم وعدم الفهم" فالأولى؛ أي "الفهم" تكمن في علاقة "**علي**" مع "**الحياني**" باعتبار "**علي**" مستلبا من خلال معاناته مع عمله تسلط "**المعلم التدلاوي**" عليه، فكان وعيه خارجا عن

[29]_حميد لحميداني: من أجل تحليل سوسيوبنائي للرواية، ص67.

ذاته؛ أي شخصية "**الحياني**" ويمثل ذلك "**علي**" جانب عدم الفهم بينما "**الحياني**" يمثل جانب الفهم، لأنه كان دائما أكثر فهما من "**علي**".

أما العلاقة الثانية هي علاقة تجمع "**علي**" و"**الحياني**" مع "**عبد العزيز**" وما يميز هذه العلاقة عن الأولى، هي أن "**علي**" و"**الحياني**" يمثلان "عدم الفهم" أمام "**عبد العزيز**" الذي يمثل المصدر الأساسي للفهم، فكان «ترتيب الشخصيات حسب أهميتها في الرواية من حيث قدرتها على الفهم أو سقوطها في "عدم الفهم"، ويتحول "**علي**"_كما قلنا_من مركز الرواية ليحتل مكانه "**الفقيه عبد العزيز**" كبطل محوري وأساسي في الرواية بمجملها، لأن القسم الأول رغم خلوه من هذه الشخصية عمل من خلال تركيبه الخاص على المركزية فيما بعد»[30] ، كان ترتيب الشخصيات في الرواية حسب مقولة "الفهم وعدم الفهم" في تحديد الشخصية المحورية، ومثال ذلك احتلال "**الفقيه عبد العزيز**" لمكانة ومركز "**علي**" كبطل أساسي ورئيسي في الرواية، كما يمكن القول أن شخصية "**عبد العزيز**" في القسم الأول لم تكن موجودة فعليا إلا بالقوة، أما في القسم الثاني فقد تحول وجودها محوري فعلي.

كما نجد أن الكاتب قد عمل «على إعطاء شخصية "**عبد العزيز**" بعدا معرفيا يبلغ حدّ القدرة على استطلاع الغيب، وهذا يعني أن جانب الفهم الذي تمثله هذه الشخصية قد بلغ حدّه الأقصى، وهكذا فقد جعله الكاتب يبدو وكأنه يستمد أفكاره من مصدر علوي مجهول، كما تصدر عنه الأفكار وكأنها شرارات تحدث هديرا واضطرابا في المتلقي (الحياني وعلي)، وأنها تتسرب في ذاته (أي المتلقي) كحمى لاهبة» [31]، إن شخصية "**عبد العزيز**" حسب ما أدلى به الكاتب على أنها شخصية

[30]_حميد لحميداني: من أجل تحليل سوسيوبنائي للرواية، ص77.

[31]_ المرجع نفسه، ص 74.

لها بعد معرفي، وجانب الفهم فيها بلغ حد أقصى في القدرة على الاستطلاع على الغيب إلى جانب المصطلحات التي استخدمتها مرتبطة بمستلزمات النبوءات، فهنا يؤكد الكاتب على خاصية استطلاع الغيب وتنبؤ بما سيحصل من خلال إخبار "**علي**" و"**الحياني**" عن مصيرهما مع السلطة الفرنسية، وهذا ما تميز به "**عبد العزيز**" عن هاتين الشخصيتين.

من هنا يمكن القول إن المقولة السابقة مقولة "الفهم وعدم الفهم" هي التي تتحكم في الخطاب الروائي، وأحدثت اختلافا شاسعا في الرواية، وكان هذا الاختلاف في القسم الثاني حين قام الكاتب بإدماج شخصيات جديدة للرواية، فكان تنظيم العلاقات على طريقة مختلفة من بنائها في بداية القسم الأول، فنجد أن الشخصية المحورية في القسم الأول وهي شخصية "علي" قد تراجعت إلى الدرجة الثالثة بعد "**عبد العزيز**" و"**الحياني**" وهذا راجع لقدرة "**عبد العزيز**" على التنبؤ واستطلاع الغيب وسبق "**الحياني**" "**لعلي**" في وعيه وفهمه بكل شيء.

نستخلص من خلال تحليل "**حميد لحميداني**" "لرواية المعلم علي" أن الكاتب قد أقام حوارا إيديولوجيا في روايته وذلك من وجهة نظر سوسيولوجيا النص مستفيدا من المفهوم الذي حدده "**باختين**" فالكاتب كان بعيدا عن المواجهة التي كانت تحدث بين الشخصيات وكان منحازا وشديد الميل بشخصية "**عبد العزيز**" وربما أثارت إعجابه، وهذا ما يلاحظه القارئ من خلال قراءته للرواية بفقدان الكاتب لصفة الحيادية في بعض مواطن السرد واستمالة القارئ إلى جانب ما من الرواية، وبهذا نجد أن الرواية تواجه بين ثلاث إيديولوجيات متباينة تمثله في القمة إيديولوجية "**عبد العزيز**" باعتبارها الشخصية الرئيسية في مواجهة الإيديولوجية الثانية وهي إيديولوجية الدخيل أو كما يطلق

عليها المستعمر التي ترتكز على مبدأين أساسيين هما مبدأ الاستغلال ومبدأ العنصرية، إلى جانب إيديولوجية الدخيلة التي تستخدم ألفاظا خاصة في التعامل معهم وأساليب التحقير للعمال، وبالتالي فإن هذا الصراع تكون فيه الإيديولوجيا الأولى هي المهيمنة على الثانية ومنتصرة على الثالثة، وبذلك تحتل مركز الرواية وتعتبر الإيديولوجيا الغالبة في الرواية.

ج_ الصوت الروائي:

على صعيد الرؤية السردية التي اشترك فيها "سعيد يقطين" مع "**حميد لحميداني**" نجده اختلف معه في مكون من مكونات الخطاب الروائي هو الصوت، فيبرز لنا بذلك "**سعيد يقطين**" بعدا نقديا دلاليا آخر ألا وهو الصوت الروائي باعتباره صوت الراوي الذي يروي الأحداث داخل الرواية، ونلتمس تعدد الأصوات في الرواية من خلال تعدد الرؤيات السردية، وكذا من خلال تعدد وتبدل الصيغ الدلالية.

يكشف لنا "**سعيد يقطين**" في دراسته للروايات الخمسة السابقة عن دلالة تعدد الأصوات فيها، من خلال التنوع الصوتي على المستوى الدلالي، بدءا بصوت السلطة الذي يتضمن لغة خاصة به تكون يقينية و دعائية، يقوم هذا الصوت على الدعاية وتبيان الحقائق وقلبها، فنجده في الإعلام على شكل خطبة، والصحافة، وفتوى، مذياع وغيرها «وتتفرع أنواعه وبالأخص في "الزيني بركات" من خلال الرسالة والمرسوم السلطاني والتقرير والفتوى....إنها خاصّة، تقوم على قلب الحقائق: ادعاء العدالة والتدين وممارسة التعبئة ومواجهة الإلحاد والعدو الصهيوني»[32] يعتبر صوت السلطة هو الصوت المتعال الذي يخلق الأحداث يتضمن لغة خاصة، وكذلك مضمونا خاصا به يكون عن طريق النداء،

[32]_سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي، ص148.

أو الرسالة، أو خطبة كما وجدناه في رواية "**الزيني بركات**" وكذلك في رواية "عودة الطائر إلى البحر" ورواية "أنت منذ اليوم" إلى جانب المذياع في رواية "الزمن الموحش" والذي يقدم تفاصيل الحرب بشكله الخاص، فصوت السلطة هو الذي يخلق الحدث ويوجهه بلغته الخاصة متتبعا الأحداث المركزية في الرواية.

أما الصوت الآخر فهو صوت الشعب يكون في بداية النص لا يكون له حضور ايجابي، وصوت انفعالي يكون كرد فعل فقط، كما نجد "**يقطين**" تطرق إلى صوت آخر المثقفي وهو صوت الشخصيات المثقفة ترفض الذات والواقع، يعرف على أنه صوت نقدي سوسيونصي ثقافي تدور قضاياه حول المشاكل السياسية والأدب، العادات والمجتمع...الخ، ونجده في الروايات المذكورة سابقا بالأخص رواية "أنت منذ اليوم" ورواية "الزمن الموحش" ورواية "عودة الطائر إلى البحر" وتكون علاقة الأصوات في الروايات بتميز كل واحدة بلغتها الخاصة بها، ومضمونها وإيحائها، وقد أشار "يقطين" بشكل قليل إلى صوت آخر لم يعرض في النص، وأطلق عليه صوت المنتصر وجعله هو صوت السلطة الأقوى من صوت السلطة السابقة وأكثر تصلبا، فيبيّن لنا "**يقطين**" أنه حينما تكلم هذا الصوت في الرواية خرست كل الأصوات الأخرى وهذا دلالة على قوة سلطة هذا الصوت في الرواية.

2_ المقاربة السوسيولوجية عند النقاد السوسيونصيين العرب:

تطرقنا سابقا إلى دراسة السوسيونصية في الإطار النصي البنيوي من خلال تحليل لبعض النماذج الروائية لمجموعة من النقاد العرب، و الذي أشرنا فيه إلى أوجه التشابه والاختلاف في التحليل النصي للرواية لكل ناقد منهم، وسنحاول في هذا المبحث التطرق إلى دراسة السوسيونصية في جانبها

السوسيولوجي، وذلك من خلال دراسة الرواية في واقعها الاجتماعي وربطها بالمجتمع الخارجي، وقد اعتمدنا في ذلك على منهجية محددة بالمقارنة بين النقاد العرب في التحليل السوسيولوجي للرواية، وإيجاد مواطن الاشتراك والاختلاف في تطبيق المنهج السوسيولوجي على الرواية، وقد عثرنا على عدد من المؤلفات ككتاب "من أجل تحليل سوسيوبنائي للرواية" "**لحميد لحميداني**"، وكذا كتاب "انفتاح النص الروائي" "**لسعيد يقطين**"، وكذا كتاب آخر"**لحميد لحميداني**" وهو كتاب "النقد الروائي والايديولوجيا"، وقد قمنا بتوظيف هذه المؤلفات في جانب المقاربة النصية لتحليل الرواية، وسنركز عليها في جانبها السوسيولوجي.

_التحليل السوسيولوجي عند النقاد العرب:

يرى "**سعيد يقطين**" أن البنية الاجتماعية تكون داخل النص عن طريق وضع النص في إطار بنية سوسيونصية، يتم البحث عنها من خلال الشخصيات ، الأحداث والزمن «تبرز لنا هذه البنية الاجتماعية داخل النص الروائي بصورة أجلى في كون النص يقوم على أساس "القصة" بما تحويه من شخصيات وأحداث وفضاءات وأزمنة تكون لها مرجعيتها إلى الواقع مباشرة أحيانا كثيرة.»[33]، إن البنية الاجتماعية تتجلى في النص الروائي، فالنص يقوم على أساس القصة كونها تمتلك بعدا تخييلي، إلا أن النص الروائي يجسد تلك العلاقات والقيم الاجتماعية والتاريخية من خلال استقلاله الذاتي عن هذه البنية الاجتماعية.

أما في تحليل "**حميد لحميداني**" لرواية "المعلم علي" في كتابه من" أجل تحليل سوسيوبنائي للرواية "نجده قد اعتمد على تفسير الدلالة الداخلية انطلاقا من المحيط الخارجي الذي أنتجها «كما

[33]_سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي، ص140.

سنتعرف على الوظيفة التي تقوم بها رواية "**المعلم علي**" باعتبارها عملا يحقق توازنا ما بين المبدع (أو الجماعة الاجتماعية التي يعبر عنها) وبين الواقع المحيط»[34]، إن الوظيفة التي وظفها "**حميد لحميداني**" في رواية "**المعلم علي**" تحقق عملا متوازيا بين المبدع والمحيط الذي يعيش فيه.

كما نجد أن "**سعيد يقطين**" تطرق إلى جوانب مختلفة للبحث عن البنية الاجتماعية في النص المحلل، بدءا بالشخصيات التي استقاها من واقع تاريخي أو اجتماعي، كرواية "**الزيني بركات**" من خلال نمط تفكيرها وأفعالها، والتي «تعيش مع شخصيات أخرى، تتفاعل معها وتتعالق بها. هذه الشخصيات (عربي-شبلي-صفدي-المتشائل-الزيني-الجهيني.....) صور لغوية وتعبيرات عن عالم اجتماعي متكامل»[35]، إن الشخصية حسب "**سعيد يقطين**" تتعالق وتتفاعل مع شخصيات أخرى، تعبر بصور لغوية عن تكامل عالم اجتماعي، وهي صور الكاتب التي قدمها وبناها بعناية وينتجها بناءا على تفاعلها مع واقعها الخارجي.

تعتبر الشخصية في الرواية عبارة عن صورة واقعية تتجسد من خلال الأنماط الاجتماعية والثقافية، تكمن أهميتها في طريقة تحليلها، تقدم في إطارها التخييلي لإبراز البعد الاجتماعي باعتباره مركز لبناء الروايات« فالشخصيات تعيش قلقا دائما مع ذاتها ومع محيطها.وهي تبعا لذلك تعيش في بنية تقوم على أساس اجتماعي تتجلى فيه تراتبية اجتماعية وأخلاقية. إن لها موقعا اجتماعيا محددا. ووفق هذا الموقع تتبنى هذا الموقف أو ذاك.»[36]، من خلال تحليل "**سعيد يقطين**" لنصوص روائية يرى أن الشخصيات دائما ما تعيش قلقا مع ذاتها ومحيطها، باعتبارها تتخذ موقفا اجتماعيا تقوم فيه على

[34]_حميد لحميداني: من أجل تحليل سوسيوبنائي للرواية، ص89.
[35]_سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي، ص140.
[36]_ المرجع نفسه، ص141.

أساس اجتماعي أخلاقي، فهو يبحث عن تماثل بين المجتمع الروائي وعلاقة بالشخصيات، ركز في ذلك على شخصيات محورية كالشخصيات المثقفة التي تقدم لنا صورا عن المثقف العربي الحديث، كما تحدث عن شخصيات ذات أصول ريفية وبدوية التي كانت تعيش قلقا دائما في تاريخها وحياتها، يظهر ذلك في علاقتها مع محيطها أو مع ذاتها، كما وصف الشخصيات الثقافية التي قدمت صورا واقعية عن المثقف العربي من خلال تعايشه في عالم متناقض ينتج عنه الإحساس بالتغرب والرفض، وهذا التناقض نتيجة إنتاج النصوص في مجتمع عربي حديث.

وفي حديث "**سعيد يقطين**" عن الشخصيات باعتبارها تعيش تناقضا، نجده تطرق إلى الأحداث والزمن في إطار الحرب والهزيمة وعلاقة الأحداث بالشخصيات، وفي صدد الحديث عن الحدث التاريخي «نجد أنفسنا أمام تسجيل تعيين لهذه الحرب وتلك الهزيمة من خلال إشارات عديدة ذات مرجعية مباشرة: خطب عبد الناصر في عودة الطائر،صوت بيغن في الزمن الموحش، وقائع الحرب: الطيران الإسرائيلي، شل حركة الطيران المصري، ضرب اسرائيل بالنابالم. هذه الإشارات التاريخية ذات بعد واقعي مباشر يستعيدها الروائي كعناصر لبنية اجتماعية عيشت في زمن محدد.»[37] تطرق "**يقطين**" إلى مجموعة من الروايات كرواية "الزمن الموحش" و"عودة الطائر" وغيرها التي كانت على شكل إشارات واقعية تاريخية، يقوم الروائي بدراستها كبنية اجتماعية معاشة في زمن واحد محدد، كما أن هذه الإشارات التاريخية تقدم ضمن بنية روائية متخيلة، وتأخذ بذلك علاقة بين المتخيل والواقعي يطلق عليها بالعلاقة الجدلية.

[37]_ سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي، ص142.

وبناءا على هذه العلاقة ينتج النص ويبني دلالته الفكرية، فالكاتب يتفاعل مع محيطه الذي يعيش فيه لأنه يكتب في عصره وفي إطاره ضمن بنية نصية كبرى ممتدة في الزمان والمكان، ولهذا فحضور البنية النصية يورد بشكل كبير في النص الروائي من أجل ربط صلة النص بالمجتمع لضمان تحقق إنتاجية النص، وكذلك في دراسته ينتج عالما نصيا خاصا به في برهنة الواقع الاجتماعي يستمد هويته واستقلاله من خلال وضعه في إطار البنية السوسيونصية.

في حين أن "**حميد لحميداني**" في دراسته لرواية "المعلم علي" نجده تناول مجموعة من المحاور كوصف المجتمع على أنه وحدة متماسكة، وهذه الفكرة مرتبطة بمسألة الحصول على الاستقلال وفكرة التحرر من الدخيل، من خلال تماسك المجتمع والنظر إليه كوحدة متماسكة؛ لأن من طبيعة المجتمع أن يكون وحدة، وقد قدمت لنا الرواية مزيدا من التأكيد في هذا الجانب باعتبار أن الحصول على الاستقلال هو الذي يحل جميع مشاكل العمال « مما يؤكد أن هذا الموقف أساسي في الرواية أننا نجد "**عبد العزيز**" الذي أكدنا سابقا أنه الممثل الأساسي لرؤية الكاتب يوافق على هذا الرأي الأخير ويدعو "**الحياني**"و"**علي**" إلى صرف النظر عن طرح كل ما يتعلق بالظروف الخاصة للعمال»،[38] فنجد شخصية "**عبد العزيز**" ممثلة سابقا عن رأي الكاتب، ويوافق رؤية الكاتب في صرف النظر إلى ما يتعلق بالظروف الخاصة بالعمال من أجل تكوين نقابة باعتبارها وسيلة لتحقيق الاستقلال.

وفي هذا الخصوص أشار "**لحميداني**" إلى التاريخ المغربي منظورا إليه من زاوية تحليل أخرى، نجد ذلك في كتاب "تاريخ الحركة الوطنية في المغرب" لغلاب الذي يبين من خلاله التناقض الذي عاشه المجتمع المغربي بين طبقاته، فهو لا ينظر إلى الحركة الوطنية باعتبارها وحدة متماسكة بقدر ما تشتمل

[38]_حميد لحميداني: من أجل تحليل سوسيوبنائي للرواية، ص89.

عليه من اشتمالها على البرجوازية تحتوي عمالا وتجارا وفلاحين وغيرهم، وبذلك تعكس تناقض تلك المصالح، «وسنرى أن المبالغة في الكلام عن وحدة متماسكة تكاد تكون مطلقة في المجتمع المغربي، هي التي سمحت لغلاب أن يتحدث عن الموحّد الفاعل والايجابي أمام القطاعات الاجتماعية السالبة والتي لم تكن تملك فعالية في مستوى فعالية الممثلين الرئيسيين في (الحركة، الحزب الجماعة الوطنية).»[39] إن الوحدة المتماسكة في المجتمع المغربي تكاد تكون مطلقة، وهذا ما جعل "غلاب"يهتم بالقطاعات الاجتماعية السالبة التي لم تصل إلى فاعلية الممثلين في الحركة والأحزاب.

إن الرواية حسب تحليل "**لحميداني**"كانت تسير في اتجاه واحد، بإثبات أن الوعي النقابي والسياسي هما اللذان دفعا إلى تكوين النقابات من خلال الحركة، الحزب، الجماعة الوطنية، كما صورت لنا الرواية كيف أن لشخصية "**الحياني**" و"**علي**" كانت عاجزتين عن الفهم والإدراك أمام "**عبد العزيز**"لأنه سلطته كانت كلية ومهيمنة على كل القرارات المتخذة ولا تكون إلا منه، وهنا لجأ الكاتب إلى تفسير هيمنة "**عبد العزيز**"على كل القرارات باعتباره ممثل قيادة الحركة، ومصدر علوي للأفكار، كما أن توجه الحركة الوطنية «راجع في الواقع إلى طبيعة فلسفة التاريخ التي كان الكاتب ينظر من خلالها لحركة المجتمع، فالفكرة دائما هي التي تلعب دورها كمحرك أول للتاريخ، وكأن هذه الفكرة تنشأ بعيدا عن الوضع الإنساني. ولذلك كان لابد من وجود زمرة مفكرة ترصد الأحداث، ولا تستفيد منها، لأن الأحداث نفسها لا تجري إلا وفق تخطيطها وتكهناتها»[40] ومن أجل تأكيد هذه المسألة لا نحتاج الرجوع إلى النص الروائي، لأنه لاحظنا كيف لشخصية "**عبد العزيز**" يمكنها التنبؤ

[39] _ حميد لحميداني: من أجل تحليل سوسيوبنائي للرواية، ص92.

[40] _المرجع نفسه، ص95.

بالغيب وذلك بإبراز طبيعته الخارقة في التفكير والتدبير والفهم، وكأن هذه الأفكار كانت تنشأ بعيدا عن وضعها الإنساني الواقعي، وهذا راجع إلى فكرة الكاتب التي ينظر من خلالها إلى حركة المجتمع، وهي فكرة النضال التي تجعله منفصلا بشكل مطلق.

إن رؤية الكاتب التي قدمت في الرواية كانت مفروضة؛ لأنها تعالج جميع العلاقات الشائكة الموجودة في الحركة الوطنية ذاتها، التي تعمل على مواجهة الدخيل إلى جانب ذلك شمولية النظرة باعتبارها مسألة أساسية في الرواية، ثم الانتقال إلى الموقف الأساسي في الفن الروائي، الذي يعطيه قيمته وهو الموقف النقدي، فرواية "**المعلم علي**" برغم ارتباطها بالماضي إلا أنها لا تتحدث عن قيم الإنسان في الواقع وهو الوضع الاستعماري، بل بحث من زاوية أخرى يكون قائما على تغيير هذا الوضع والعمل على تحقيق واقع أفضل، « فالانتقاد الموجود في رواية "المعلم علي" يفقد كل قيمته النقدية عندما نعلم أنه لا يرتبط بلحظة الكتابة نفسها وإنما يرتبط بلحظة تاريخية سابقة تحققت فيها تلك القيم التي جعلتها الرواية قيما مفتقدة في الواقع الذي صورته»[41]. يعد الاستقلال رمزا لتحقيق كل القيم التي عاشها المجتمع في الواقع، حيث أصبحت شيئا تاريخيا مكتسبا، وبذلك فالانتقاد الموجود في هذه الرواية يفقد قيمته النقدية لارتباطه باللحظة التاريخية ولا يرتبط بالكتابة نفسها.

يرى "**لحميداني**" أن الفن الروائي لا تكتمل صفاته الدلالية والفنية إلا من خلال امتلاك نظرة شمولية للواقع، التي تكون في الكتابات الروائية والملاحم القديمة وغيرها من الروايات الواقعية التي كانت لهم رؤى شمولية لواقعهم سواء بالرفض أو الانتقاد، فرواية "**المعلم علي**" حاولت اختزال هذه الرؤى من خلال عرض رأيها في تجربة العمال المرتبطة بتاريخ المغرب « وفصلت العلاقة الموجودة بين ما هو

[41]_ حميد لحميداني: من أجل تحليل سوسيوبنائي للرواية، ص99.

خاص، وما هو عام: فما هو خاص هو قطاع العمال، وما هو عام هو مجموع المجتمع، فلم تتحدث عن الحركة الاجتماعية في كليتها مع أن هذه الحركة هي التي تفسر كيف أن العمال استطاعوا _بمساعدة الزمرة المفكرة طبعا_ بفضل احتكاكهم أيضا بالعمل وبمجموع آمال الفئات الاجتماعية أن يصلوا إلى مرحلة النضج الذي مكنهم أولا من فرض مطالبهم النقابية وثانيا من إدراك حقيقة الوضع اللاإنساني في ظروف هيمنة الدخيل.»[42]، الملاحظ أن الرواية قد اختزلت تلك العلاقات وحصرتها في علاقتين الأول الخاص وهو قطاع العمال، والثاني العام وهو مجموع المجتمع، كما جعلت علاقة العمال بالزمر المفكرة ذات شكل محدود يتأثرون به العمال ولا يؤثرون، فتأثير تلك المواقف اتخذتها الحركة تجاه الدخيل.

تطرقنا في هذا الفصل إلى كيفية تلقي النقاد العرب للسوسيونصية من خلال البحث في واقع النقد السوسيونصي العربي، وعثرنا في ذلك على مجموعة من الجهود التي حاولت فهم أصول ووظائف اشتغال السوسيونصية، بدءا بالجهود الترجمية التي عملت على ترجمة المدونات والدراسات الغربية من أجل تقديمه للقارئ العربي، اعتمادا على كتابي "**بيير زيما**" "النص والمجتمع" وكتاب "النقد الاجتماعي"، كما تناولنا الجهود النظرية التي ركزت على الدراسة النظرية للمنهج السوسيونصي وشرح الأسس التي يقوم عليها، والإشارة إلى أعلامه، ونجد في ذلك اختلاف بين النقاد العرب من ناحية طرحهم للمفاهيم السوسيولوجية، وختاما بالجهود التطبيقية التي ركزت على تطبيق المنهج السوسيونصي على النصوص الأدبية والنقدية، ومعرفة مدى اختلاف النقاد في تطبيق هذا المنهج على النصوص، ونتلمس قلة اهتمام النقد العربي في السوسيونصية بحيث لم نجد إلا عددا قليلا من النقاد

[42]_ حميد لحميداني: من أجل تحليل سوسيوبنائي للرواية، ص103.

الذين اشتغلوا على هذا الحقل نتحدث عن "**يقطين**" و"**حميداني**" بالمقارنة مع المنهج البنيوي التكويني الذي حظي باهتمام أكبر، وهذه الجهود على قلتها حاول بعضها إعادة النظر في أصول وتطبيقات السوسيونصية في مجال النقد، وبخصوص الربط بين البنية النصية والبنية الاجتماعية وجدنا أن النقاد يعودون إلى سياقات النصوص كالاستعمار الذي عاشته المنطقة العربية، واتضح لنا كيف كان الناقد "**لحميداني**" يحاول أن يدرج النص في بنية تفسيرية أكبر.

خاتمة

توصلنا في مختتم هذه المذكرة إلى مجموعة من الاستنتاجات فيما يخص واقع النقد السوسيونصي وامتداداته العربية، وتلقي النقد العربي له إلى مجموعة من النتائج نلخصها فيما يأتي:

ـ هناك تعددية مصطلحية للسوسيونقد في النقد العربي المعاصر، ويعود ذلك أساسا إلى وجود أكثر من مصطلح له، في أصوله الغربية، كما أن التلقي والترجمة ساهما أيضا في هذه التعددية.

ـ إن النقد السوسيونصي ناتج عن تركيب منهجي؛ أي هو حاصل تركيب بين المنهج الاجتماعي والمنهج البنيوي، أدى إلى تركيب منهجي جديد.

ـ إن ظهور المنهج السوسيونقدي نتج عن أزمة منهجية عميقة للمنهج البنيوي والاجتماعي.

ـ يبدو أن النقد السوسيونصي لم يلق الاهتمام والعناية الذي وصلت إليه مناهج أخرى كالمنهج البنيوي والأسلوبي، وكذلك مع البنيوية التكوينية باعتبارها أقرب المناهج إليه، وذلك عائد إلى قلة الجهود النظرية، بحيث لم نعثر على ترجمات للكتابات والأعمال التنظيرية "**لكلود دوشي**" و"**بيير زيما**".

ـ تعد الترجمة والأعمال النظرية والدراسات التطبيقية أحد أبرز مظاهر التلقي العربي للنقد السوسيونصي، وقد تباينت تلك الجهود من حيث الأهمية، فالترجمة لم تنل حظا وافرا من العناية والاهتمام.

ـ يبدو أن النقاد المغاربة كانوا أكثر اهتماما بالنقد السوسيونصي، كما يوجد تفاوت بين النقاد في الاهتمام به، فالناقد "**حميد لحميداني**" قدم جهدا متميزا في هذا الخصوص.

ـ إن النقد السوسيونصي العربي لم يستطع تجاوز نظيره الغربي، خاصة على مستوى التنظير، لكن ذلك لا يقلل من شأن بعض الجهود النقدية التي حاولت تجاوز جهود الوساطة بين النقدين العربي

والغربي، مثلما هو الشأن مع الناقد "**حميد لحميداني**" الذي وضع مصطلح السوسيو بنائية، وحاول مناقشة النقاد الغربيين، وحاول التأسيس للسوسيونصية انطلاقا من مناهج متعددة وخاصة البنيوية التكوينية.

قائمة المصادر والمراجع

1/ المصادر:

_حميد لحميداني، النقد الروائي والايديولوجيا، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط01، 1990.

_حميد لحميداني، من أجل تحليل سوسيوبنائي للرواية، رواية "المعلم علي" نموذجا، منشورات الجامعة،1984.

_سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي،-النص والسياق-، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط02، 2001.

2/ المراجع:

أ/ البحوث والمؤلفات:

_جمال شحيد، البنيوية التكوينية"دراسة في منهج لوسيان غولدمان"، دار التكوين للتأليف، دمشق، سوريا، ط01، 2013.

_سعد البازغي وميجان الرويلي، دليل النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط03، 2002.

_سمير حجازي، مدخل إلى مناهج النقد المعاصر، دار التوفيق للطباعة والنشر، سوريا، دمشق،1465.

_صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، شارع قصر نيل القاهرة، ط01، 2002.

_عبد العزيز حمودة: المرايا المحدبة- من البنيوية إلى التفكيك- ، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1978، ص 245.

_محمد أمين البحري، البنيوية التكوينية —من الأصول الفلسفية إلى الفصول المنهجية-، منشورات الاختلاف، ط01، 2015.

_محمد الدغمومي، نقد النقد —تنظير النقد العربي المعاصر- منشورات كلية الآداب، الرباط، ط01، 1999.

_محمد مريني، مدارات القراءة — تفسير القراءة من مداخل العلوم الإنسانية-، درا الكنوز المعرفة للنشر والتوزيع-، عمان، ط01، 2015.

_نور الدين صدار، البنيوية التكوينية في المقاربات النقدية العربية المعاصرة، علم الكتب الحديثة، اربد: الأردن، ط01، 2018.

ب/ المراجع المترجمة:

_بييرزيما، النص والمجتمع، آفاق علم اجتماع النص، تر: أنطوان أبو زيد، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط01، 2013.

_بييرزيما، النقد الاجتماعي، تر: عايدة لطفي، دار الفكر، القاهرة، ط01، 1991.

_ليوناردو جاكسون، بؤس البنيوية-الأدب والنظرية البنيوية-، تر: ثائر ديب، دار الفرقد، سوريا، دمشق، ط02، 2008.

_لوسيان غولدمان وآخرون، البنيوية التكوينية والنقد الأدبي، تر: محمد سبيلا، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، ط 02، 1986.

ج/ المجلات والدراسات:

_علي سحنين، سوسيولوجيا النص الروائي في النقد الغربي- قراءة في أطروحات باختين وزيما-، مجلة آفاق علمية، جامعة مصطفي اسطنبولي معسكر، الجزائر، ع13، 2021.

_مريم شويشي ومصطفى شويرف، السوسيونصية في الخطاب التنظير في النقد الجزائري، مجلة المدونة، جامعة مصطفى اسطنبولي معسكر، الجزائر، ع01، مج08، 2021.

_محمد قاسم، النقد البنيوي-الخلفيات اللسانية والأسس المعرفية والخصائص-، الأثر مجلة الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، ع08، 2008.

د/ الرسائل الجامعية:

_صالحة عباسي، سوسيولوجيا النص الأدبي وتطبيقاتها في النقد العربي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، قسم اللغة والأدب العربي، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية وآدابها، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، الجزائر.

_عمر عيلان، النقد الجديد والنص الروائي العربي-دراسة مقارنة للنقد الجديد في فرنسا وأثره في النقد الروائي العربي من خلال بعض نماذجه-، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه الدولة في الأدب الحديث، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005-2006.

_نعيمة بولكعيبات، سوسيولوجيا النص-تاريخ المنهج وإجراءاته-، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب و اللغات، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2010-2011.

فهرس الموضوعات:

مقدمة .....أ

مدخل: النقد السوسيونصي (تحديدات نظرية).....05

الفصل الأول: تشكل النقد السوسيونصي.....17

المبحث الأول: مآزق النقد الاجتماعي والنقد البنيوي الصوري.....19

أ_مآزق النقد الاجتماعي.....19

ب_مآزق النقد البنيوي الصوري.....23

المبحث الثاني: البنيوية التكوينية (المفاهيم المؤسسة للسوسيونصية).....27

1/ الخلفيات الفلسفية للبنيوية التكوينية.....27

2/ المفاهيم الإجرائية للبنيوية التكوينية.....30

أ_ الوعي القائم.....30

ب_ الوعي الممكن.....30

ج_ رؤية العالم.....32

د_ التماثل.....33

هـ_ الفهم والتفسير.....34

و_ البنية الدلالية.....36

المبحث الثالث: إسهامات "ميخائيل باختين".....38

أ_ مفهوم باختين للرواية.....40

ب_ أقسام الرواية عند باختين.....42

1/ الرواية المنولوجية.....43

2/ الرواية الحوارية.....43

الفصل الثاني: تلقي النقد السوسيونصي في النقد العربي.....46

المبحث الأول: الجهود الترجمية.....48

المبحث الثاني: الجهود النظرية السوسيونصية العربية.....53

1/سعيد يقطين ومسعى الوساطة.....54

2/مسعى التنظير لدى حميد لحميداني.....58

أ_ محاولة إثراء السوسيونصية.....58

ب_ إعادة النظر في المصطلح.....59

المبحث الثالث: الجهود التطبيقية السوسيونصية العربية.....63

1/ المقاربة النصية عند النقاد السوسيونصيين العرب.....64

أ_ الرؤية السردية.....65

ب_ الشخصيات الروائية.....68

ج_ الصوت الروائي.....72

2/ المقاربة السوسيولوجية عند النقاد السوسيونصيين العرب 73

أ_ التحليل السوسيولوجي عند العرب.....74

خاتمة.....83

قائمة المصادر والمراجع.....86

فهرس الموضوعات 89

ملخص.....91

ملخص:

يناقش هذا البحث تلقي النقد العربي للسوسيونصية ويحاول تسليط الضوء على طبيعة هذا التلقي من خلال التركيز على ثلاثة أوجه: الجهود الترجمية، والجهود النظرية، وكذا الجهود التطبيقية، ويحاول الإجابة عن أسئلة وإشكالات تتمحور أساسا حول أوجه هذا التلقي ما إن كان مثاقفة أو هو مجرد نقل معرفة جاهزة من أصولها دون وعي ولا إثراء لها.

Résumé:

Cette recherche traite de la réception de la critique arabe de la sociologie et tente d'éclairer la nature de cette réception en s'intéressant à trois aspects: l'effort de traduction, l'effort théorique, mais aussi l'effort pratique, et les tentatives de réponse à des questions et problèmes qui s'articulent principalement autour de les aspects de cet accueil, qu'il s'agisse d'une acculturation ou simplement d'un transfert prêt à connaitre ses origines sans en prendre conscience et non à l'enrichir.